وقفات مع كتاب صحيح البخاري:
أسطورة انتهت ومؤلفه

المقدمة ٢
منهج الحوار والمناقشة: ٢
إيجابيات الكتاب: ٣
الملاحظات المنهجية: ٣
منهج عقلاني بحت يرفض النقل الشفوي: ٣
منهج تعميم الأجزاء المحدودة على الكل: ٦
قلة الأدب مع نبي رب العالمين: ٧
الطعن في عدالة الصحابة: (ص ٤٩- ٥٢) ٩
الشتائم والسخرية: ١٠
مخالفة الأوامر الربانية: ١١
شتائم للسنة النبوية: ١٢
شتيمة لعلم الرجال والأسانيد: (ص ٤٩) ١٣
شتائم لعلماء المسلمين: ١٤
شتائم خاصة لعلماء الحديث: ١٥
الاستهزاء بعلماء محددين: ١٦
الانتقاء في نقل الأخبار والنصوص: ١٧
نقد المحدثين بعضهم لبعض ١٧
الاستشهاد بأذيال أعداء الإسلام: ١٨
تكذيب الموثق وتصديق غير الموثق: ١٨
أين مخطوطة صحيح البخاري؟ ١٩
الانتقاء في فهم النصوص: ٢٠
توهم النظرة الدونية إلى لقب الحبشي: ٢٢
الكذب والمبالغة: ٢٢
أكذوبة السُّنة القاضية على القرآن: ٢٤
استحالة وجود حفظ البخاري: ٢٦
المصطلحات: ٢٧
مفهوم العلم وعماد حسن: ٢٧
مصطلح "حديث" ٢٩
علم أصول الحديث: ٣٠
نقد المتن والسند: ٣١
مصطلح الصحابي: ٣٢
مصطلح العدالة : ٣٣
لماذا تأخر تدوين السنة النبوية: ٣٤
من ألف صحيح البخاري؟ ٣٤
الخلاصة: ٣٥
المراجع والهوامش: ٣٦

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ورضي الله عن أصحابه البررة الميامين، وعن علماء المسلمين المخلصين.

يدفعني إلى كتابة هذه الوقفات مع كتاب الأستاذ رشيد إيلال المعنون "البخاري: أسطورة انتهت" نشر دار الوطن، بالمغرب، أني لاحظت في ثنايا كتابه أنه يظهر الاحترام للقرآن الكريم ولنبي الإسلام محمد، صلى الله عليه وسلم، فأتوسم أنه مسلم ، ليس كافرا، يحقد على الإسلام. ولهذا أجد نفسي ملزما ببذل الجهد في نصح أخي في الإسلام وفي الإنسانية.

كما يدفعني تحصين طلبة العلم من المؤامرات التي يحيكها أعداء الإسلام والحق والإنسانية.

والله وحده يعلم بحقيقة نية المؤلف في تأليف هذا الكتاب الذي يبدو من قراءته أنه يهدف إلى هدم الإسلام بالطعن في المصدر الثاني للإسلام.

وأسأل الله الرحمن الرحيم أن يهديه ومن يؤيده إلى الصواب ويتوب عليهم ويغفر، إن كانت نيته سليمة، وإن كانت أخطاؤه المنهجية جسيمة في التعامل مع السنة النبوية وعلمائها.

وأسأل الله العظيم المتكبر الجبار إن لم تكن نيته سليمة أن يكشف حقيقته ومن يؤيده ويفضحه بين العالمين، ويذيقه المذلة والهوان في الدنيا قبل الآخرة، ويجعله عبرة لمن يعتبر، إن كان ما كتبه للاسترزاق، بخدمة أعداء الإسلام، لمحاربة الإسلام أو كان ذيلا لأعداء دين رب العالمين، ويلحق به أمثاله.

ومما يلفت الانتباه أن المؤلف يعبر بطريقة واضحة بالعربية عن حقده على السنة النبوية، والعلماء الذين جهدوا في خدمته. لقد عبّر بلغة عربية جيدة عن منهجه الذي يقتصر على العقل البشري المحدود لمحاكمة النصوص المقدسة. كما عبرّ عن منهجه المعكوس بلغة فصيحة، أي تعميم النادر القليل على الكل الغزير بلغة فصيحة. ويبدو واضحا أنه بذل جهدا ملموسا لتأييد توجهه، وذلك بجمع الأخبار غير الموثقة في الغالب، وترجيحها على الأخبار الموثقة، وبترجيح الفهم الخاطئ على الفهم الصائب عند العقلاء والمختصين في الموضوع الذي يكتب فيه المؤلف.

منهج الحوار والمناقشة:

وحتى يكون حواري معه مجديا قررت الاحتكام إلى القرآن الكريم الذي يبدي احتراما له، وإلى المنطق الذي يحتكم إليه أحيانا، في حملته المسعورة على السنة النبوية وعلى من خدموه عبر القرون وعلماء المسلمين بعامة. وسأتجنب الاحتكام إلى المنهج **"العلمي"** الخاص بالعلوم الإنسانية لأن المؤلف لا يعترف إلا بالعلوم الطبيعية، مثل الكيمياء وعلم الفلك و... ويعتبر ما عداه، مثل علم الحديث والتجريح .. أساطير ,..

وسأركز حواري مع المؤلف على النقاط التالية:

١ – منهج المؤلف في تحكيم عقله في الحكم على مصداقية النصوص المقدسة والأخبار الماضية.

٢ - تعميم الأخطاء القليلة جدا على الصواب الغزير.

٣ - استخدام الشتائم والسخرية والعبارات التي تخالف الآداب القرآنية في وصف السنة، وعلماءها بكثافة بارزة.

٤ – الحرص على نقل ما يؤيد خياله وحقده على علم الحديث النبوي وعلمائه، وتجاهل ما بذله علماء الأحاديث النبوية من جهود في الحفاظ على المصدر الثاني للإسلام، إلا أن يوردها للسخرية منها وشتمها وتحقيرها.

٥ – الحرص على ترجيح الفهم الخاطئ الذي يؤيده على الفهم الصائب الذي يعارضه، وإن كان الفهم الخاطئ يرتكز على القصور في الفهم أو تحريفه أو اختراعه.

ومن باب الإنصاف والعدالة هناك إيجابيات ذات أهمية، وإن كانت تختلط بما يشبه...

ولتوفير جهد القراء والقارئات سأزودهم بأمثلة موثقة بصفحاتها في كتابه، بين قوسين بحرف "ص" ورقم الصفحة في الكتاب.

إيجابيات الكتاب:

أولا - هناك مجهود واضح في تجميع مواد الكتاب.

ثانيا – أوافق المؤلف في بعض النقاط التي طرحها، ومنها: ١) ميل كثير من المتخصصين في الدراسات الإسلامية إلى الترديد، بدون تأمل كاف فيما يرددوه، ولاسيما في العصور المتأخرة. ٢) وجود أحاديث أو روايات يرفضها نقد المتن، ولكنها معدودة. ٣) وجود ثناء مبالغ فيه لبعض العلماء، وإن كانت قليلة. ٤) خطأ الاستشهاد ب"الإجماع" للمدح أو للذم ٥) وجود أخطاء في فهم بعض النصوص المجردة عن سياقاتها المباشرة وغير المباشرة.

الملاحظات المنهجية:

هناك ملاحظات منهجية، ومنها الخطيرة جدا وهي ترتكز على تحكيم العقل البشري القاصر، وتعميم النزر النادر على الكثير الغزير.

منهج عقلاني بحت يرفض النقل الشفوي:

يعتقد المؤلف أن العقل البشري قادر على أن يكون حكما يميز بين الحق والباطل، دون حاجة إلى المعلومات الدقيقة والصحيحة الكافية. ويجهل أن وسائل إدراك الإنسان الخمسة للواقع ناقصة عند الإنسان. فهي تتمثل في حاسة البصر، والسمع، والشم، واللمس، والتذوق. ومن الحيوانات ما تفوقه فيها. ولهذا فإن العقل غير مؤهل لإصدار الحكم في الغيبيات. وهو أميل إلى الشّطط في الحكم عندما لا تتوفر له المعلومات الصحيحة الكافية، فالاحتمال كبير لأن يصدر أحكاما تتراوح بين

ما يثير السخرية وما يخرج من الملة.

ويبدو أن المؤلف لعدم علمه بالحقيقة السابقة وجهله بطريقة حفظ القرآن الكريم ووسائله يتوهم أن الله حفظ القرآن الكريم فقط بجمعه في مجلد واحد في خلافة أبي بكر الصديق، وتوحيده في خلافة عثمان ابن عفان. ولا يدري أن النقل الشفوي المتواتر عبر القراء والمختصين الثقاة، وحلقات تحفيظه ومدارسه هو السند الأساس في حفظه عبر القرون. وذلك إضافة إلى الوسائل الأخرى التي سخّرها رب العالمين، مثل فرض تلاوة أجزاء منه في الصلوات المفروضة، والحث على حفظه عن ظهر غيب وعلى تلاوته بصورة مكثفة.

فالمؤلف يرفض النصوص المقدسة التي نقلها العلماء شفويا من مختص إلى مختص أخر، عبر القرون الأربعة عشر، حتى وصلتنا، ويرفض بعنف قيمة علوم الحديث وعلماء الحديث، ولاسيما سلسلة الأسانيد وما يرتبط بها، مثل علم الرجال والجرح والتعديل. فيُكذِّب نصوص الأحاديث النبوية، مستندا إلى العقل البشري القاصر وغير المسنود بالمعرفة الكافية.

فالمؤلف يصف الأحاديث النبوية التي وثّقها علماء السنة النبوية ويعملون بصورة مستمرة على تنقيحها، بأنها أساطير، ويحكم في ضوئها على تدوين السنة النبوية بعبارات جارحة، مثل "من هنا جاءت آفة الحديث" و"تحوّل تدوينه إلى آفة ، (ص ١٨-١٩)

ويرفض المؤلف الأحاديث النبوية الموثقة بالأسانيد، حيث يقول، مثلا أن أحاديث فضل بعض من خلق الله تتعارض شكلا ومضمونا وبشكل وأضح ومستفز مع قوله تعالى في سورة الحجرات: {يَا أيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكمْ مِنْ ذَكَر وَأنثَى وجعَلْنَاكم شُعُوباً وقبَائلَ لتَعَارفُوا إِنَّ أكْرمَكم عِنْدَ اللهِ أتْقَاكم. إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.}(ص ٣٥-٣٦).

فيرفض قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي. فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه.

ويسخر مثلا، من الأحاديث التي تفضل العرب وقريش و... ويصفها بالأساطير، وذلك لأنها تفضلهم، ويبرر به أن الأحاديث النبوية آفة وجنت على المسلمين... ولا يدري المؤلف أن الله قد فضّل كثيرا من عباده على آخرين، ومن ذلك تفضيله بني إسرائيل على العالمين، حيث يقول تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ }(سورة الجاثية: ١٦) و{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}(سورة البقرة:١٢٢) ومنها أيضا قوله تعالى {وإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(سورة الأنعام: ٨٧)

والسؤال: بما أن المؤلف يتجاهل أهمية السند ويرفضه، ويقرر رفض السنة النبوية بناء عليه ليبرر شتائمه للمصدر الثاني للإسلام وللعلماء الذين خدموه، مقتصرا على العقل القاصر، **هل سيطبق المنهج نفسه على كلام الله العزيز الجبار**، كما فعل مع الأحاديث النبوية الموثقة بالسند؟

وهل سيتجرأ المؤلف ويطعن ب"عقله" في مصداقية الآيات القرآنية التي، لا يستوعبها؟

ثم لماذا هذا الحقد الدفين على العرب، وقريش، وبني هاشم، وأصحاب محمد، عليه الصلاة والسلام؟

إن من لديه الحد الأدنى من الذكاء يدرك أن التفضيل قد يكون وراثيا، مثل السلطة والمال والجاه، والذكاء. وأن يترتب عليه تبعات ومسؤوليات تجاه من يتصف به والآخرين، ويحاسب الإنسان على حسن أو سوء استثماره. وقد يكون الفضل مكتسبا يجنيه الإنسان بعرق جبينه وباجتهاده، أي أنه غير موروث. وهذا الفضل والتميز هو المعيار المعتمد عند رب العالمين عند محاسبة الناس. ولا تدخل الصفات الموروثة في الميزان إلا إذا تساوت المميزات المكتسبة فترجح كفة أحد الطرفين، لقوله تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.(سورة الحجرات: ١٣)

ولعله فات المؤلف خطورة الاقتصار على المنهج العقلي في إثبات مصداقية الأخبار الماضية، ورفض أهمية سلسلة الرواية الشفوية فدعني أنقل إليه تعليق أحد الذين اطلعوا على كتاب المؤلف وما تضمنه من سيل الأكاذيب والبهتان، والشتائم والسخرية للسنة النبوية ولعلماء المسلمين. يقول المعلق، مستعملا العقل البشري البحت مستبعدا التوثيق بالنقل الشفوي: يبدو واضحا أن سلسلة انتساب المؤلف إلى آدم، عليه السلام، ليست خالصا، لقد اندس فيها عرق إبليس أو أحد أعوانه من الشياطين.

وهذه الفرضية تنطبق على كل من يقتصر في تحديد مصداقية الأخبار الماضية على نقد المتن والعقل، ويرفض النقل الشفوي للمعلومات عبر الأجيال المتعاقبة.

وأنا واثق بأن المؤلف يرفض تطبيق منهجه هذا عليه شخصيا. أما أنا في الحقيقة، بصرف النظر عن وجود هذا الاحتمال أو عدم وجوده، لا أوافق على تطبيق هذا المنهج في أي حالة من الحالات. فالعمدة في هذه المسألة هي سلسلة الرواة، ولاسيما الثقاة، حيث ينقل والده عن جده، وجده عن جده ... وهذه الفرضية تنطبق على كل من يرى إمكانية الاستغناء عن النقل الشفوي للمعلومات، ولاسيما إذا كانت طريقة النقل مقيدة بضوابط صارمة مناسبة للعلوم الإنسانية. ومثالها التأكد من كفاءة الناقل، من حيث درجة الأمانة في النقل (العدالة)، أي درجة أدائه للفروض وتجنبه للمحرمات، ومن حيث قدراته العقلية، وعلى رأسها قوة الحفظ.

والسؤال: هل يدرك المؤلف خطورة ما يسجله في كتابه وما يصدره من أحكام على الروايات الشفوية الموثقة ورواتها، ومن يعملون على الحفاظ على مصداقيتها وتنقحيها عبر القرون؟

إن كان يدرك، فهذا المنهج يوشك أن يؤدي به إلى الكفر بالله الذي هو يحتج بتنزيهه مهاجمة السنة النبوية وعلمائها. وإن كان لا يدري فالمصيبة أعظم.

وهل يدري أن منهجه هذا يعكس حقيقة موقفه من كتاب الله العزيز، وموقفه من النبي، صلى الله عليه وسلم. فهو يستخدم تنزيه كتاب الله ونبيه الكريم ليهجوا السنة النبوية وتدوينها، وهذا نفاق، والنفاق أشد من الكفر. إن ما تعكسه محتويات كتابه، هي في الواقع، تؤكد أنه يتدرّع بإظهار الاحترام للنبي، صلى الله عليه وسلم، عن طريق مهاجمة سنته الموثقة: أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية. ويؤكد ذلك تلك العناوين التي يستخدمها لرفض بعض الأحاديث النبوية، مثل "النبي البذيء" و"النبي يُسحر ويهذي"، ": الرسول يختلي بامرأة متزوجة وينام عندها وهي تقلي رأسه من القمل."؟ (المؤلف ١٥٠-١٥٥) ولو كانت صادقا في تبجيل النبي لقدم لهذه العناوين بكلمة "تهمة".

والسؤال: هل يدرك المؤلف هذا الاحتمال، وما يفهم مما يسجله في كتابه؟ إن كان لا يدركها فكيف يتجرأ بمحاكمة السنة النبوية والعلوم التي تخدمها وعلمائها وهو لا يدري ما يحاكم وبأي منهج؟

منهج تعميم الأجزاء المحدودة على الكل:

إن من لديه معلومات بدائية في مناهج البحث العلمي، ويخجل على نفسه لا يعمم في أبحاث الدراسات الإنسانية إلا كان تسعين في المائة -على الأقل- من الحقائق تؤيد فرضيته. (انظر مثلا: قواعد أساسية في البحث العلمي ص٦٩-٨٤) أما المؤلف فمنهجه مبني على تعميم الأقل من واحد في المائة على الكل. كما يقتصر في منهجه على تحيكم "عقله" فقط، ولكنه يستعمل المنهج العلمي بعد قلب قواعده رأسا على عقب.

فمثلا يعنون كتابه " **صحيح البخاري نهاية أسطورة** "، أي يبني حكمه بأن ما يحتويه كتاب صحيح البخاري كله أسطورة، لأن نسبة ضئيلة جدا منه عليها ملاحظات أو لا تقبل الصحة.

والسؤال: هل قام المؤلف بقراءة صحيح البخاري كله، وأحصى الأخطاء فيه – حتى في حدود منهجه العقلي – فوجد أن معظم النصوص فيه خاطئة ليوجه إليها وإلى علماء السنة شتائمه ويسخر منه ومنهم.؟

فمن يقرأ الصحيح ونقد العلماء له لا يجد سوى أخطاء محدودة جدا. بل إذا أحصيت جميع الأحاديث التي استشهد بها المؤلف فإنها قليلة لا تتجاوز الأربعين حديثا، دون استبعاد الأحاديث التي لم يفهمها أو حرّف معانيها، و بعد استبعاد المكرر الذي حاول بها زيادة العدد. ومع هذا قام بتعميم هذه الكمية الضئيلة جدا على صحيح البخاري كله الذي يحتوي على أكثر من سبعة آلاف حديث، وحكم بفساد صحيح البخاري كله. فمن الواضح أن المؤلف بذل جهودا مضنية ليجد أكثر مما أثبته في كتابه من الأحاديث المنتقدة، ولكنه فشل فاضطر إلى تكرار الاستشهاد ببعضها أكثر من مرة.

ولم يقف المؤلف عند هذا الحد من الانحراف في منهج البحث، ولكن تمادى وبناه على منهجه وحكمه فملأ كتابه بالشتائم والسخرية للسنة النبوية أو الأحاديث النبوية، ولمناهج تنقيتها وحفظها، ولعلماء الأمة الإسلامية الذين جهدوا عبر القرون في حفظها وتنقيحها. وذلك للدفاع عنها أمام هجمات أعداء الإسلام المستمرة إلى يومنا هذا، مستغلين أذنابهم من خونة "المسلمين" الجاهزين لبيع دينهم لقاء دريهمات معدودة.

والسؤال: هل يجوز عقلا وعلميا أن نعمم النسبة المحدودة جدا على النسبة العظمى؟

ربما فات على المؤلف انحراف هذا المنهج بمائة وثمانين درجة عن القواعد العلمية والعقلية والفطرية ولم تخيّل خطورته. فدعني أضرب له مثالا محسوسا، ينطلق من أسلوبه، اقترحه أحد الباحثين. فعساه أن يدرك خطأ هذا المنهج الرئيس الذي اعتمد عليه في كتابه.

قرأ أحدهم هذه الشتائم التي ترتكز على تعميم الأخطاء التي لا تصل إلى الواحد من المائة على بقية كتب السنة ومنها صحيح البخاري، فقال، مطبقا منهج المؤلف نفسه: إن هذا المنهج، **يفيد بأن الموجود في أمعاء المؤلف يمثله كله**، أي أن الجزء الصغير جدا يمثل جسمه كله.

لا أشك أن المؤلف يرفض تطبيق منهجه على نفسه. وأنا شخصيا، بصرف النظر انطباق هذا التشبيه أو لا، أؤيد المؤلف وأرفضه أيضا. بل، إن الطفل المدرك يرفضه أيضا، لأنه يعرف أن المؤلف يتكون أيضا من أجزاء أخرى، مثل الرأس والصدر واليدين والرجلين.

والسؤال: أي منطق هذا الذي يعمم نسبة أقل من واحد في المائة على صحيح البخاري كله، ويسميه أسطورة؟

وهل يجوز للمسلم الذي بلغ سن الرشد أن يستخدم مثل هذا المنهج الرئيس الذي اعتمده في الكتاب كله، لكي يلغي أهمية المصدر الثاني للإسلام، الذي يترجم الأحكام العامة في القرآن المتعلقة بالعبادات والمعاملات، ويضعها في صورتها التطبيقية؟

وهل يؤدي المؤلف ما فرضه الله عليه من فروض، ويجتنب ما حرّمه في حياته اليومية؟ لأن من يقرأ القرآن يدرك، مثلا أن الآيات القرآنية التي تفرض الصلوات الخمس لا تشير إلى الطريقة المفصلة للصلاة. فهل هي تقتصر على الانحناء أمام الصنم؟ أم على رسم الصليب أمام تمثال المسيح المصلوب، أم...؟

إذا كان المؤلف يؤدي الفروض ويتجنب المحرمات فمن أين أخذ هذه المعلومات؟ من الفقيه؟ أو من كتب الفقه؟ وهل يعلم المؤلف أن كتب الفقه تعتمد على ما يعتبره هو أساطير وخرافات؟

قلة الأدب مع نبي رب العالمين:

فمثلا، يعنون المؤلف لبعض الأحاديث المرفوضة عنده عقلا، وبطريقة ربما تُعبِّر عن حقيقة مشاعره تجاه نبي رب العالمين لأنها تتسم بالبذاءة المبطنة.

فتحت عنوان "بخاريات" يأتي ببعض الأحاديث النبوية ويعنون لها بعناوين تتهم النبي الكريم. (ص ١٤٩-١٦٠)

فمثلا، يعنون حديث ماعز وتوبته ب "الرسول البذيء" ، مستشهدا بكلمة ينسبها إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، بعد محاولاته المُلِحة لصرف ماعز عن الاعتراف الذي يترتب عليه عقوبة الزنا. وتقول الكلمة "أنكتها" بدلا من أن يكني (ص١٥٠). وقد ضعّف كثير من المحدثين الرواية المذكورة لوجود اضطراب في روايات قصة ماعز عموما، عبر المدونين للأحاديث النبوية.

ويستشهد المؤلف بحديث يدعو فيه النبي، صلى الله عليه وسلم: "اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة." ويقيس المؤلف "سب النبي" على شتائمه، ويظن أنها مثل شتائمه هو، وذلك بجهله بمدلول الكلمة في هذا السياق.

ويستطرد فيقول: فالرسول كان أكثر الناس أدبا، ...، لكن عباد الأساطير، يفضلون الإساءة لرسولنا الكريم على أن يطعن في أسطورة صحيح البخاري.

ويعنون حديثا ب"الرسول يصلي بدون وضوء، ويعلق "النوم من نواقض الوضوء"، ونص الحديث **يفيد ب**أن النبي تَوَضأ، ثُمَّ قَامَ يُصلِّي فَصلى ثَلاَثَ عَشرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إذَا نَامَ نَفَخَ ثُمَّ أتَاهُ الْمُؤذِّنُ فَخَرَجَ فَ صلى وَلَمْ يَتَوَضأ". فيعلق المؤلف: وهو الشيء الذي يستحيل في حق نبينا، **والمعلوم من ديننا كما هو متواتر عن نبينا**، أن النوم من نواقض الوضوء، فكيف يخالف الرسول أمرا هو من جاء به، لكن العقول تتوقف، واحترام الرسول يتوقف عندما يتعلق الأمر برواية من روايات الكتاب المقدس «صحيح البخاري (ص١٥٥)

والسؤال: هل يقيس نوم النبي، عليه الصلاة والسلام، بنومه؟ وهل أخبر أحد من الموجودين أنبي بأن وضوءه قد فسد، ومع هذا قام فصلى بدون إعادة الوضوء؟

ومن أين عرف المؤلف أن الوضوء من نواقض الصلاة وأنه أمر تواتر عن نبينا؟ وما مصدره؟ هل كان موجودا عندما أمر النبي بذلك؟ أو أن مصادره هي السنة النبوية التي يصفها بالأساطير؟

ويعنون لزيارات النبي لأم حرام ب "الرسول يختلي بامرأة متزوجة وينام عندها" ويقول: يدخل على أم حرام، وهي امرأة أجنبية عنه، ويختلي بها في غيبة من زوجها، وينام عندها، وتقوم هي بفلي رأسه.

وهو رغم جرأته على نقد السنة النبوية لا يعلم أن النبي هو محرم لها، حسب جميع الروايات التفصيلية. فهي إحدى خالاته من الرضاعة، أو خالة لأبيه أو لجده عبد المطلب. فأم عبد المطلب كانت من بني النجار في المدينة، كما يؤكد ذلك النووي.

ويعنون لحديث "الشيطان يطعن رسول الله عند ولادته " ويبنيها على الحديث الذي رواه أبو هريرة، حيث يقول النبي، صلى الله عليه وسلم: ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها. ويضيف على مدلول الحديث، ويعلق المعنى الذي أضافه من عنده: فهذا

الحديث يلحق مريم وابنها عيسى عليهما السلام بزمرة من لا يمسهم الشيطان، بينما رسولنا الكريم كباقي البشر قد مسهم الشيطان. (ص ١٥٦)

والسؤال: من أين أتيت بهذه الزيادة في معنى الحديث؟ ألا يقول لك عقلك أنك بهذا الاستنتاج تؤكد أنك الإنسان العادي غير مستثنى، وخاصة أن محتويات كتابك تؤكد بأن مس الشيطان لك قوي جدا، جعلك تؤلف كتابك المحشو بالشتائم وسوء النقل والفهم للإساءة إلى الإسلام

والسؤال: ألا يدل هذا الأسلوب في التعامل مع رسول رب العالمين أن المؤلف يتحايل بما يظهره من تبجيل للنبي ليسيء إليه بطريقة ملتوية، وخاصة أنه يطعن في مصداقية السنة النبوية بأكملها؟

وألا يدل هذا التعامل مع نبي رب العالمين على جهل المؤلف بالموضوع الذي يكتب فيه ويتبجح بالفهم فيه ليبرر به شتم السنة النبوية وعلمائها؟

وعلى الأقل، هل يدرك المؤلف بأنه يناقض نفسه بالتظاهر بتنزيه النبي، صلى الله عليه وسلم، حينما يرفض أقواله وأفعاله وتقريراته التي وثقها علماء الإسلام؟

وألا يعتقد المؤلف أن منهجه الذي يعتمد على العقل فقط وهذا الأسلوب في الحديث عن نبي رب العالمين، وهذه التهم هي انعكاس واضح للمنهج الذي يقتصر على العقل القاصر والهوى، والجهل في الموضوع الذي يؤلف فيه، وللبذاءة في التعبير.

الطعن في عدالة الصحابة: (ص ٤٩- ٥٢)

يقول المؤلف: "إن علم الرجال يعني ببساطة أن المحدثين يستدلون على الحقيقة بالرجال، ويهتمون بمن قال **أكثر مما قال**، وهنا يحق لنا أن نسأل كل ذي عقل حصيف، **هل كان الصحابة كلهم عدولا، وكلهم أتقياء**، وكلهم على مرتبة واحدة من العلم والإيمان، أم هم في الحقيقة أصناف وأنواع، يجب أ خذ الحيطة والحذر عند الأخذ منهم وعنهم؟ ولك أن تعجب من رأي الصحابة "العدول كلهم" في بعضهم البعض، لكن من يستعمل عقله ولو مرة واحدة ليقف على هاته الأكذوبة علم الرجال؟ "ولمن يقدس الصحابة ما عليه إلا قراءة سورة التوبة التي يسميها البعض الفاضحة فقد ورد **فيها كثير من الانتقادات لهم، وأظهرت حقائق العديد منهم**

ويكذب المؤلف على علماء الإسلام فيقول ساخرا: هذا يعني أن الصحابة "كلهم عدول، وكلهم أتقياء، وكلهم على مرتبة من العلم والإيمان ".

وفي الواقع، لم يقل أحد من علماء المسلمين هذا القول الذي يسيطر على خيال المؤلف وعقله، وينسبه إلى علماء المسلمين كذبا وافتراء.

والسؤال: هل يعرف المؤلف المقصود بمصطلح الصحابي؟ وهل يعرف مصطلح العدالة المشتق منها أن "الصحابة عدول"؟ وستتم مناقشة مصطلح الصحابة والعدول، تحت المصطلحات.

ويقول عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ممن تم وضع بعض أفعالهم في كتب الحديث: إذا كان الحديث الذي يخرج من فم الرسول وأفعاله التي يقوم بها

وتقريراته أيضا، دينا باعتباره الأسوة الحسنة لنا، فما علاقة الصحابة بذلك وما علاقة التابعين؟!!! سوى أن تكون معادلة تقديس هؤلاء واعتبار أقوالهم وأفعالهم دينا يجب اتباعه، وسنّة يستنّ بها، إلى جانب سنّة رسول الله، فنكون إزاء أنبياء آخرين غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، صنعوا الدّين بشكله الحالي، وهم فئة الصحابة على مختلف طبقاتهم وأنواعهم وتصنيفاتهم وعلمهم وجهلهم ونفاقهم وصدقهم وفسقهم وإيمانهم وإلخ... (ص ٤١)

والسؤال: هل يطعن المؤلف في عدالة الصحابة ويتهم كثيرا منهم بالنفاق جهلا بمفهوم العدالة عن جمهور المحدثين، أم أنه يريد الإساءة إليهم، بطريقة الغمز؟ فمن المعلوم أن الصحابة، هم تلاميذ النبي، عليه الصلاة والسلام، الذين فدوه والإسلام بأموالهم وأنفسهم، والذين أسهموا في نقل الإسلام إلى الأجيال التالية.

وهل يقصد إدراجهم ضمن من يستحقون شتائمه كما فعل مع السنة النبوية وعلمائها ، بطريقة ملتوية؟

وهل قال أحد العلماء بأن اتباع الصحابة والتابعين ملزم كما هو بالنسبة للسنة النبوية، أو صرح بتعديل التعريف الصحيح الذي يبدو أنك تؤيده هنا؟

وهل إذا جمع الله الدم واللحم في الخروف مع بقية مكوناته، يعني أنه كله صالح للأكل؟ أليس من لديه عقل يُدرك أن الاتباع فقط لأقوال النبي وأفعاله وتقريراته؟ فهذا ما يؤكده علماء المسلمين (انظر مثلا: أصول الفقه في خطوات)

هل يدرك المؤلف الفرق بين الاتباع الإلزامي للنبي، صلى الله عليه وسلم، والاقتداء غير الإلزامي بأفعال الصحابة والتابعين التي تسهم في توضيح النصوص المقدسة بصفتها تطبيقات لمسلمين صالحين؟

وستتم مناقشة مصطلح الصحابة والعدالة لا حقا في هذا الحوار، تحت فقرة مصطلحات.

الشتائم والسخرية:

يشحن المؤلف كتابه بسيل من الشتائم والسخريات التي لم تسلم منها السنة النبوية والعلم الذي يخدمه، والعلماء الذين اجتهدوا ويجتهدون في خدمته. فشتائمه وسخرياته تقترب من المائة شتيمة وسخرية صريحة.

واستخدم المؤلف فيها كلمة "أسطورة" ومشتقاتها حوالي ١٢٩ مرة، فقد يستخدم أكثر من اشتقاق منها في الشتيمة الواحدة. واستخدم كلمة "خرافة" ومشتقاتها ٨٧ مرة. وهذا مع أن كتاب المؤلف يتألف من ١٧٧ صفحة فقط، بعد حذف كلمة الناشر، وصفحات الصور، والجداول، والصفحات الفارغة وعناوين الفصول، والفهرس. وبعبارة أخرى، فإن معدل الشتائم والسخرية في الكتاب هو شتيمة لكل صفحتين.

. ويحشوا كتابه بالإضافة إلى الكلمتين السابقتين كلمات مثل: وقاحة، الطوام الكبرى، يتبجح متبجح، ومستشهدا بالآية الكريمة يقول إن علماء المسلمين هم الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: {إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون}، لا يتورعون عن أن ينسبوا لله ما لم يقله، ويقولون على الله مالا يعلمون، يضربون بهاته الآيات

عرض الحائط ويقولون لك بكل وقاحة وجرأة على الله، كتب التراث المليئة بهذا الخبل التاريخي، عباد الأوثان التاريخية، فكل "حزب" بما لديهم فرحون، هذا مستحيل عقلا، لذلك كان عباد الأوثان التاريخية، وأن دينهم لا يأخذونه إلا من روايات تاريخية لا قدسية لها، فقالوا عنه بدون حياء ولا وازع من دين...

مخالفة الأوامر الربانية:

من الواضح أن المؤلف غارق في قذف الشتائم والألفاظ الصريحة في القذارة السنة النبوية وعلوم الحديث النبوي وعلماء السلف الذين خدموا الإسلام عبر القرون حفاظا عليها. ومن المعلوم أن السنة النبوية هي التي تترجم الأحكام المطلقة في القرآن الكريم بالتطبيقات العملية المقيدة، وتفسر المبادئ العامة التي وردت فيه.
وبهذا فهو يعصي أوامر الله مثل قوله تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ولموعظة الحسنة} ويأمر موسى عليه السلام وأخاه بدعوة فرعون باللين، وإن كان الله محيط بالنتيجة، إذ يقول تعالى: { اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (سورة طه:٤٤).

وقد لا يدرك المؤلف أنه بمخالفة أوامر ربه قد يستحق تهديد رب العزة والجلال، لأنه يؤذي المؤمنين والمؤمنات من أصحاب النبي وخدام سنته، حيث يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا. (سورة الأحزاب: ٥٨) ويقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (سورة الحجرات: ١١)

والسؤال: هل قرأ المؤلف القرآن الكريم، ولو مرة واحدة في حياته، فيدرك أن منهجه وأسلوبه في المناقشة يخالف ما ورد في كتاب الله العزيز الحكيم؟

ويقول المؤلف: إن مجرد مناقشة مصداقية الأحاديث النبوية يشعل حملة مسعرة، أسلحتها قنابل التكفير، وصواريخ التفسيق، وقذائف الزندقة، لا يمنحك المُقلِّد فرصة لتشرح موقفك وتقدم أدلتك، لأنه لم يُربَّ على النقاش والمحاججة والمحاورة، بل بُرمج على القذف والسبّ ،ويرى في ذلك قُربى يتقرب بها إلى الله، وعبادة، يتعبد بها لله،... ومتى كان لعن الناس وإهانتهم وتلْب أعراضهم من القربات؟ !!(ص ٥١-٥٢)

لقد نسي المؤلف أنه قال: إننا بعرضنا هاته النقولات نرمي من خلالها الطعن في شخص البخاري، فما يمكن –في نظرنا- الطعن في أي إنسان كيفما كان بالاعتماد على أقوال بعض الرجال، ففي النهاية هي آراء.(ص١٤٨)

والسؤال: هل التزم المؤلف عمليا بما التزم به قولا؟ وهل اختلف أسلوبه عن أسلوب هؤلاء؟ إن أسلوبه لا يختلف عن من أنكر عليهم بل يتجاوزها كثيرا. فهو يشتم الأحاديث النبوية الموثقة كلها أو جلها، وبعلم الحديث، ويصف أقوال النبي الكريم

وأفعاله وتقريراته وصفاته الموثقة بالمختصين والرواة بأنها أساطير وخرافات. ويختلف عنهم لأنه يحاول بكذبه وتحريفه للنصوص هدم الإسلام بالطعن في المصدر الثاني للإسلام، ويحاول نشر الضلال بين المسلمين.

أما أولئك الذين ينقدهم، فإنما يوجهون التكفير واللعن إلى لأفراد من المسلمين، قد لا يكونوا مستحقين لها أو يكونوا مستحقين لها، استنادا إلى القرآن الكريم.

فالله سبحانه وتعالى يلعن الكاذبين: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (آل عمران٦١) ويقول:تعالى: ونَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (سورة الأعراف: ٤٥) ويقول تعالى: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (سورة هود: ١٨)

شتائم للسنة النبوية:

يشن المؤلف حملة ضد السنة النبوية، وهي المصدر الثاني للدين الإسلامي، ولا يتورع عن وصفها أوصافا قد يترفع عنها حتى أعداء الإسلام من الكافرين. فمثلا يقول: والأحاديث السابقة إشارة إلى منع عمر تدوين السنة النبوية، فيقول: وفعلا من هنا جاءت آفة الحديث (ص ١٨)

لقد غفل المؤلف حساسية تدوين أقوال النبي، خاصة والسنة عامة في ذلك الزمان فقد تختلط فيه الآيات بأقوال النبي، وذلك لدخول دفعات كبيرة من الناس في الإسلام ممن لم يعايشوا النبي عليه الصلاة والسلام. فقد تختلط في أذهانهم آيات القرآن الكريم وأقوال النبي، صلى الله عليه وسلم.

ويقول: فكل الشيوخ والفقهاء ومنذ بدأ عصر التدوين إلى يوم الناس هذا، انكبوا على الحديث وهجروا كتاب الله لصالح مرويات ظنية الثبوت في غالبيته. (ص ١٨)

ويضيف: وإن أصح ما ورد في الإذن ،حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما مرفوعا: "اكتبوا لأبي شاه" وهو لا يعارض حديث أبي سعيد وما في معناه على قاعدتنا التي مدارها على أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة حديثه مراد به ألا تتخذ دينا عاما كالقرآن، وذلك أن ما أمر بكتابته لأبي شاه هو خطبة خطبها صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة، موضوعها تحريم مكة ولقطة الحرم، وهذا من بيانه صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن الذي صرح به يوم الفتح، وصرح به في حجة الوداع وأمر بتبليغه، فهو خاص مستثنى من النهي العام، بالإضافة إلى أن بيان الرسول الذي ألقاه بخصوص فتح مكة، هو بيان سياسي لقائد دولة وليس لرسول، فلا وجود للرسالة في خطبته **إلا من حيث البيان**. (ص ١٩-٢٠)

والسؤال: هل يمكن لذي عقل أن يقول بأن تحريم مكة ولقطة الحرم بيان سياسي، وليس تشريعا ورسالة من نبي مأمور بتبليغه إلى المسلمين؟

ويورد قول الأوزاعي: "الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب" إذن من خلال هذه النقولات نجد أن هؤلاء الشيوخ اعتبروا المرويات المأثورة عن النبي، وهي في غالبها ظنية الثبوت، قاضية وحاكمة على القرآن.."(ص ٢٧)

ويضع عناوين فرعية تحت عنوان "آفة علم الحديث" يسميها:

-" أكذوبة علم الرجال (ص ٤٩)

- "جناية الحديث" (ص ٦١)

وتحت عنوان "ليس علما" مستشهدا بمقال الدك تور عماد حسن بعنوان "خرافة علم الرجال" ...الذي يقول فيه "لكل ما سبق لا يمكننا بأي حال من الأحوال اعتبار خرافة "الحديث" علما لأنه لا يملك من العلم شيئا، ومنهجها منهج أهواء وأسلوبها انتقائي مزاجي."(ص ٤٥)

وستأتي مناقشة مقال الدك تور لاحقا تحت عنوان مصطلحات.

ويقول تحت عنوان "جناية الحديث": إن اعظم جناية جناها الحديث، هي التسبب في هجر كتاب الله ليحل محلّه ،على مستوى التشريع، وعلى مستوى العقيدة، وعلى مستوى العبادات، حتى اصبح لدينا دين آخر مأخوذ من الحديث لا علاقة له بالقرآن، بل إن الحديث اتهم القرآن بالنقص والزيادة والتحريف (ص ٦١) وأن مما جناه الحديث على أ متنا هو أ نه جعلها أمة متخلفة تؤمن بالخرافة وتناقض العلم، وتنبذ العقل. ومن النماذج الحديثية التي نمثل بها على مصائب كتب الحديث وما تزخر بها من تفاهات وخرافات وأساطير (ص ٦٥) مما جعل هاته السيرة تعتمد على الخرافة وتصبح بذلك أسطورة من الأساطير التي تكون أليق بحكايات الجدات للأطفال، بدل أن تدرس في المعاهد والجامعات ،على أساس أنها جزء من تاريخ أعلامنا وشيوخنا، وبالتالي تاريخنا. (ص ٨٤)

شتيمة لعلم الرجال والأسانيد: (ص ٤٩)

يقول المؤلف لا يمكن أن نتحدث عما يطلق عليه اسم «علم» الحديث، دون أن نتطرق إلى إسناد الحديث، ولا يمكن أن نناقش الإسناد دون أن نقف على ما يطلق عليه أيضا «علم الرجال » أو «علم طبقات الرجال» الذي يعتبر أحد فروع «علم » الرجال. وقد أحببت أن أصدر مناقشتي لهاته القضية بنقل عن الدك تور أحمد صبحي منصور من مقال له نشر سنة ٢٠٠٥ بعنوان "الإسناد في الحديث " يقول أحمد صبحي: "كان الشاعر العتابي يسير في شوارع بغداد، فدخل السوق وهو يأكل الطعام، وكان ذلك يخالف المروءة أو "الإتيكيت" لدى أرباب الطبقة العليا، ولذلك احتج عليه صديقه قائلا "أتأكل الطعام في السوق ويراك الناس؟" فقال له العتابى ساخرا: "وهل أولئك ناس؟ إنهم بقر". وقال: "سأريك إن كانوا ناسا أم بقرا" ثم صعد إلى الربوة ونادى في الناس: "يا قوم هلموا أحدثكم عن رسول الله" صلى الله عليه وسلم. فتدافع إليه الناس واجتمعوا حوله، وأقبل يحدثهم يقول: روى فلان عن فلان أن

رسول الله... روى غير واحد أن رسول قال: "إذا بلغ لسان أحدكم أرنبة أنفه دخل الجنة" فإذا بك ل واحد من المستمعين يخرج لسانه يحاول أن يصل به إلى أنفه...

والسؤال: هل يعرف صبحي الذي يستشهد بقوله المؤلف الفرق بين عامة الناس والمتخصصين في تنقيح الأحاديث النوبية؟ إذا كان يدري فهو يظن أنه سيضحك على المسلمين، ولكنه يضحك على نفسه. وإذا كان لا يدري ف هو يعكس الجهل المطبق حتى في التمييز بين الشمس والقمر، ويمكنه معرفة الفرق بسؤال أحد الأطفال الصغار.

يقول: أن مسلم روى في صحيحه حديثا عن سلسلة من الرواة تبلغ ستة أجيال مثلا، فسيكون بالبداهة آخرهم هو من رآه الشيخ مسلم مباشرة ، أما الخمسة الآخرين فلم يرهم ولم يلتق بهم، فكيف يمكن عقلا وعلما وبداهة إثبات أنهم فعلا رووا عن رسول الله هذا الحديث الذي ادعى مسلم أنه نقله عن شيخه ، فحسن الظن بالشخص والرأي في الشخص بأنه صادق في نقله ،لا يضمن أنه صادق فعلا وأنه تقي حقا، لأن البشر لا يمكنهم الشق على قلوب الناس لمعرفة حقائقها، فالتقوى والصلاح من البواطن التي لا يعلمها إلا الله، وحتى إذا أمكن للراوي الحكم نسبيا على شيخه الذي عاصره وأخذ عنه فكيف يمكنه الحكم على أشخاص لم يرهم ولم يلتق بهم ، وبهذا أصبح فعلا **«علم الرجال » أكذوبة وخرافة** ، لا علاقة لها بالمنطق والعقل، وبالمنهج العلمي الصائب الراجح. (ص ٥٠-٥١)

والسؤال: هل المؤلف جاد في كلامه ويفهم المثال الذي يضربه؟ هل يدرك معنى علم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، ووظيفة علم الإسناد عموما الذي يتخصص في التحقق من كون رواية النص المحدد تم تناقلها شفاهة من راو إلى آخر ليربط بين النبي، صلى الله عليه وسلم، من جهة ومن سجّله في كتاب من جهة أخرى. وذلك إضافة إلى التأكد ن درجة الثقة التقريبية في كل راو في سلسلة الرواة للحديث الواحد.

وهل يدرك الد كتور أنه لم تم تطبيق مثاله على نسبه هو سيؤدي ذلك إلى الطعن في نسبه وانتمائه إلى آدم عليه السلام؟

شتائم لعلماء المسلمين:

يصف المؤلف علماء الإسلام، ولاسيما علماء الحديث النبوي بقوله: وبعدها يطلعون بوجوههم الوقحة على الناس ليسردوا عليهم وبعدها يطلعون بوجوههم الوقحة على الناس ليسردوا عليهم أحاديث وآثار في منع كتابة وتدوين الأحاديث، في «سكيزوفرينيا» غريبة جدا، تحط من قدر هؤلاء عند ذوي العقل الراجح، والفكر المستنير. (ص ٢١) ويقول "وها أنتم هؤلاء قد لاحظتم كيف تمت صناعة أحاديث، ليتم تقسيم الأدوار بن العرقيات والفئات المكونة للمجتمع المسلم باسم الرسول، بشكل غريب ومضحك، لا ينطلي إلا على السذج، أو على من وضع غشاوة على عينيه وعقله معا.(ص ٣٦)

وتحت عنوان "لماذا البخاري"، سيرة الأحلام، الأسطورة، أسطورة الحفظ، أسطورة صحيح البخاري. يقول المؤلف: بعد أن بينا في عجالة خلال الفصلين السابقين، ثم تطرقنا إلى الظروف التي واكبت تدوين الحديث وشجعت عليه، **ونبهنا**

إلى الآفة التي تسبب فيها تدوين الحديث، لنخلص بعد ذلك إلى مناقشة ما يسمى بعلم الحديث، وما جناه على الإسلام وأمة الإسلام، وكيف تم سحب القرآن من معترك الحياة لتحل محله المرويات، لنشرع في هذا الفصل الذي سنتطرق فيه إلى أسطورة البخاري، حيث سنقف على مجموعة من الخرافات المتعلقة بشخصية محمد بن إسماعيل البخاري، وسيقف القارئ من أول وهلة عليها ليكتشف بدون عناء، أنها أساطير ألصقت بهاته الشخصية (ص ٧٣)

ويستطرد فيقول: إنّ من الطوام الكبرى التي جعلت أمة بكاملها تقع في المحظور هو قلبها الحقائق ،وتقديسها للماضي ورجاله، حتى سارت الركبان بمقولة ردّدت على الألسن بدون وعي من قائليها، لا تمحيص "الخير في اتباع من سلف والشر في ابتداع من خلف". (ص ٧٥) ويقول: وقد نسي "علماء" الجرح والتعديل أن يضيفوا اسم الذباب إلى مصطلح الحديث ومصطلح تجريح الرجال، فبدل أن يقال هذا رجل كذاب، كان عليهم أن يقولوا هذا رجل ذبّاب، تطبيقا لحلم البخاري، وتعبير معبر للرؤى بأنه يذب عن رسول الله الكذب "الذباب." ويضيف: إن وقاحة الراوي وصلت به إلى أن ينسب عبر خرافة حلم، لكتاب مجهول المؤلف أصلا.(ص٨٠- ٨١)

شتائم خاصة لعلماء الحديث:

ويقول: ها أنتم هؤلاء قد لاحظتم كيف تمت صناعة أحاديث، ليتم تقسيم الأدوار بن العرقيات والفئات المكونة للمجتمع المسلم باسم الرسول، بشكل غريب ومضحك ،لا ينطلي إلا على السذج، أو على من وضع غشاوة على عينيه وعقله معا. (ص ٣٦)

ويضيف: من هنا يبرز لكل ذي لبّ حكيم ،أن فقه هؤلاء وفهمهم لا علاقة له بالقرآن الكريم، وأن دينهم لا يأخذونه إلا من روايات تاريخية لا قدسية لها، حتى صدق فيهم قول الله عز وجل: {وقَالَ الرسول يَا رَبِّ إِنَّ قَومِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورً} (الفرقان: ٣٠.)... وأنه كتاب الله الموحى أيضا إلى نبيه محمد، صلى الله عليه واله وسلم، لكن علماء الحديث ومن سار على دربهم لا يعرفون للحديث معنى إلا كلام الرسول والصحابة والتابعين، (ص ٤٣)

و لجهل المؤلف بوجود جزء جوهري يعتني بنقد المتن في أصول الحديث يقول: إن علم الرجال انصب على دراسة رجال الحديث دون النظر في المتن وهو الأهم، فبدأوا يجرِّحون على هواهم متأثرين بالعصبية المذهبية وبالشائعات أحيانا. (ص٥١)

والسؤال: أليس من الطبيعي أن ينصب علم الرجال على الرواة، وأن ينصب نقد المتن على العناية بالمتن؟

ويقول: إن وقاحة الراوي وصلت إلى أن ينسب عبر خرافة حلم لكتاب مجهول المؤلف أصلا... وبالتالي يكتمل السياج الكهربائي حول البخاري والصحيح المنسوب إليه، ... لكنها الخرافة تفعل فعلها عندما تجد من يصدقها، وكتب التاريخ تعج بمثل هاته الخرافات المأخوذة عن ادعاء بحلم، ومع ذلك يتبجح متبجح ليعتبر هذا علما!! ويحمل أسلحة التكفير ليوجهها لكل من أراد إعمال العقل واستعماله ،ولمن أراد أن يمارس إنسانيته التي لا قيمة لها بدون استعمال العقل، النعمة الربانية التي

حباها الله لنا، والتي هي مناط التكليف في الإنسان، والتي حث الله على استعمالها في محكم كتابه مرات ومرات وذم الذين لا يستعملون عقولهم وشبههم بالأنعام بل أضَل {إن **شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون**}. (ص٨١)

ويقول المؤلف: وستتعجب أيها القارئ من كلام هؤلاء الذين يقدمون على أنهم شيوخ وفقهاء ومحدثون وعلماء. لكن هؤلاء الشيوخ لا يتورّعون عن أن ينسبوا لله ما لم يقله، ويقولون على الله مالا يعلمون مادام الهدف رفع الشيخ البخاري إلى أعلى عليين.

ويقول المؤلف: ولك أن تتصور الكم الهائل من الأحاديث «السبعون ألفا» التي كان يحفظها البخاري بتراجمها وأسانيدها وما قيل في رجال هاته الأحاديث فردا فردا، من جرح أو تعديل، ودرجة كل حديث من حيث الصحة أو الضعف، إلى غير ذلك مما يرتبط بها وهو ما زال صبيا في سن اللعب، فعلى هذا يجب أن يكون البخاري قد بدأ حفظ الأحاديث قبل أن يولد، حتى لو لم نأخذ بعين الاعتبار سنوات تعلمه اللغة و"علومها"، والفقه و"علومه"، والحديث و"علومه"، ولم نأخذ بالاعتبار سنوات رضاعه، ثم تعلمه الحبو فالمشي فالهرولة، ثم سنوات تعلمه النطق فالكلام ،ثم سنوات لعبه مع الأطفال، فبالرغم من عدم أخذنا في الاعتبار بكل هذا، فإنه رغم ذلك ستبقى مسألة حفظ البخاري خرافة كخرافات أخرى نقلت إلينا بدون تمحيص من ناقلها عبر كتب التراث المليئة بهذا الخبل "التاريخي"... (ص ٩٩) وطبعا هذا مستحيل عقلا، لذلك كان عباد الأوثان التاريخية، يلحون على أن لا نقيس البخاري بالمقياس البشري، بل علينا أن نقبل هاته "التخاريف" هكذا بدون إعمال العقل، وكل إعمال للعقل سيسقط الأسطورة، التي استغرقت صناعتها قرونا من الزمن، من طرف الكهنوت الديني، الذي خدّر الناس، وأوقف العقول، وكانت المحصلة إنتاج التخلف باسم الدين، والدين من هذا بريء. (ص ١٢٨) ولم يقف الحد عند مسألة الاختلاف في اعتبار الأصح من كتب التراث فكل "حزب" بما لديهم فرحون. (ص ١٣٤) وسيصدم من هول المفاجأة، حينما سيكتشف حقيقة مجموعة كبيرة من الأحاديث المسيئة إلى الإسلام ولنبي الإسلام، بل لرب العالمين داخل هذا الكتاب، والتي لن نعرضها كلها، بل سنكتفي بعرض نماذج منها فقط، (ص ١٤٩)

والسؤال: هل سمع المؤلف بحلقات تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه، واطلع على بعض الأطفال والشباب الذين وهبهم الله منحة الحفظ والدقة فيه، حتى في هذا العصر الذي تعوّد فيه البشر على الاعتماد على المسجل والمقروء، بدلا من الحفظ، وكثرت فيه أسباب انشغال الذهن وتشتته؟

الاستهزاء بعلماء محددين:

يقول المؤلف: بل وصل الأمر بمقدسي صحيح البخاري من الشيوخ والفقهاء والمحدثين، أن تجرأوا على مقارنة هذا الكتاب بكتاب الله المنزل من لدنه على نبيه إلينا، هدى ورحمة للمتقين، فقالوا عنه بدون حياء ولا وازع من دين " **إنه أصح كتاب بعد كتاب الله**" كما حكاه النووي والذهبي وغيرهما من الشيوخ. (١١٠)

والسؤال: هل يقرأ المؤلف ويكتب وهو في حالة وعي؟ أم أنه يتعمد التحريف وخداع القراء والكذب عليهم؟ وهل يتكرم للمؤلف بسؤال الزبّال المسكين الذي ليس لديه وقت لتعلم القراءة والكتابة أو للاستماع إلى الدروس الدينية، وذلك ليعرف الفرق

بين العبارتين؟ فالنص الذي يصف به علماء المسلمين صحيح البخاري ينبه إلى وجود أخطاء في صحيح البخاري، **ولكن لا يقول كل ما فيه صحيح**.

ويسخر من الدكتور أحمد عمر هاشم، رئيس الأزهر في وقت سابق، ، يقول المؤلف: وجدت له تصريحا ... جعلني أستغرب من المنطق الذي يحكم هؤلاء ،فوجدت أن لا منطق يحكمهم، إنما هي الخرافة التي عشعشت في الأنفس وسيطرت على العقول. فانظروا إلى قول هذا الدكتور المتحمس في «علم» الحديث فقد قال:« لا يصح لمن يحاول النيل من الإمام البخاري أن يقيسه بالمقياس البشري، لأن لله أنبياء لهم معجزات وأولياء لهم كرامات. (ص٨٤)

ويسخر من قول الشيخ عبد المحسن العباد البدر، مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا، لقوله بأن البخاري: كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة. (ص ٩٩)

ومن أقوال الشخصيات العلمية التي يسخر بها المؤلف قول الدكتور محمد صالح المنجد، حيث يجيب على سؤال حول مكانة صحيح البخاري، يعلق عليها المؤلف بقوله: "يقول بما يبرز حجم الغلو والتقديس الذي يتمتع به كتاب صحيح البخاري لدى معظم الشيوخ. وذلك لأن المنجد يقول: هو أصح كتاب مأثور بعد كتاب الله تعالى. ومازال العلماء والمحدثون والحفاظ وعلماء السنة والحفاظ يشهدون له بالجلالة والمرتبة العالية في التوثيق والإتقان.(ص١١١)

ومستهزئا بقول الدكتور ربيع المدخلي يقول: " فيعتبر مُنكرِ حديث في صحيح البخاري كمنكرِ القرآن على حد سواء من حيث الحكم." (ص١١٥)

الانتقاء في نقل الأخبار والنصوص:

مما يلفت انتباه المستعرض للكتاب أن المؤلف حريص على انتقاء النصوص والأقوال التي تؤيد توجهه الذي يتمثل في شتم السنة النبوية وعلمائها، بل وعلماء المسلمين كافة (دليل) المسلمين.

نقد المحدثين بعضهم لبعض

ينتقي المؤلف الأقوال التي تسند وجهة نظره من علماء السلف بعد أن يشمله في شتائمه المعممة، مع إضفاء فهمه المنحرف، ومثاله: (ص ١٣٥-١٤٧)

١ - انتقاد مسلم للأحاديث الأحادية في صحيح البخاري.
٢ - انتقاد الترمذي للبخاري.
٣ - انتقاد الدار قطني لبعض الأحاديث في البخاري ومسلم.
٤ - تأييد ابن مسعود الدمشقي لنقد الدار قطني.
٥ - قول بدر الدين الزركشي: ليس جميع الصحيحين مقطوع بصحته.
٦ – قول ابن برهان: خبر الواحد لا يفيد العلم"، ورفض الكمال ابن همام خبر الواحد لوجود بعض الأحاديث منها في البخاري.
٧ - محمد بن سليمان . يفيد بأن ما ورد في الصحيحين يفيد الظن.
٨ – قول أحمد ابن الصديق الغماري: كم حديث صححه الحفاظ وهو باطل بالنظر إلى معناه.

٩ – الحوار بين الألباني ومحمود سعيد حول بعض الأحاديث في البخاري ن، وقول الألباني بأن مجال النقد مفتوح.
١٠ - الألباني ينقد البخاري
١١ - مثل نقد أبو زرعة، والذهلي للبخاري.
١٢ – طعن الذهلي في البخاري بتهمته بالقول بخلق القرآن وسبب مغادرة البخاري لنيسابور.
١٣- قول أبي زرعة وتهمة البخاري ومسلم بحب السمعة: حيث يقول عن البخاري ومسلم: هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه فعملوا شيئا يتسوقون به، ألفوا كتابا لم يسبقوا إليه ليقيموا لأنفسهم رئاسة.

ومن الملاحظ أن بعض هذه الآراء في البخاري وصحيحيه لا أسانيد لها، وقد تكون مكذوبة على المنسوبة إليهم، دسّها المغالون في المحبة، أو المغالون في البغض، أو أعداء الإسلام. فهو يستشهد بأقوال وأخبار شاذة لا تتسق مع السمة الغالبة للمنسوبة إليه أو الموصوف بها. فمن الطبيعي أن يكون للإنسان البارز أحباء وأعداء فيبالغ المحبون في إيجابياته، ويبالغ المبغضون في سلبياته. وقد يروجون أخبارا عن غير قصد أو يخترعونها لتأييد مواقفهم أو للتعبير عن مشاعرهم.

الاستشهاد بأذيال أعداء الإسلام:

ومما يجذب الانتباه حرص المؤلف على الاستشهاد بمن على شاكلته، ممن يُشك بأنهم أذيال أعداء الإسلام أو هم أسرى للحضارة اللادينية، دون وعي، وجاهزون لبيع كرامتهم ودينهم بدريهمات قليلة.

ومن هؤلاء محمود أبو رية، (ص١٩-٢٠)

ومنهم عماد حسن الذي نشر مقالا بعنوان "خرافة علم الرجال" ينكر فيه علم الرجال، مستندا إلى معلومات متناقضة وافتراضات عجيبة ويقول باستحالة نقل قول النبي عبر الرواة. (ص ٤٤-٤٨)

ومنهم أحمد صبحي الذي يعنون لموضوعاته بعناوين مثل: "تخاريف في صحيح البخاري" و"جهل البخاري". (ص٤٩)

ومنهم الدك تور عبد الفتاح عساكر الذي يجري عملية حسابية على معلومات مغلوطة، تجهل الواقع فيخرج بنتيجة يسند بها طعنه في البخاري وصحيحه.(ص ١٢٣-١٢٦)

٦ومنهم إسلام البحيري الذي يسبح في الخيال فيضيف مدلولات مكذوبة بصراحة على نص حديث أبي هريرة وحراسة أموال الزكاة. (ص ١٥٧-١٦٠)

ويلاحظ أنه قد يشتم العالم المسلم في الحديث بتعميماته في صفحات عديدة، ثم يمدحه ويثني عليه عندما يستشهد بأقواله الموافقة لهواه، وإن كان بعد تحريف معناه أحيانا.

تكذيب الموثق وتصديق غير الموثق:

يستخدم المؤلف التظاهر بالاحترام للرسول، صلى الله عليه وسلم، ليستخدمه في الطعن في الأحاديث النبوية التي تصف نبوته، وأخلاقه، ومن خدمها وبخدمها من

علماء المسلمين.

والسؤال: من أين أخذ المؤلف سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي يستخدم احترامه لمهاجمة السنة؟ هل أخذها من الروايات التاريخية غير الموثقة؟ أم من عقله وخياله؟

يُكذِّب المؤلف الروايات والأخبار المحققة والموثقة بالأسانيد المتصلة، ويرفض السنة النبوية التي تمثل حقيقة سيرة النبي، عليه الصلاة والسلام، ويحتج على كون حجم السنة النبوية كبير جدا بالمقارنة بحجم القرآن الكريم، المصدر الأول للإسلام، ولا يمثل القرآن الكريم إلا جزءا صغيرا.

والسؤال: أليس من الطبيعي أن التفسير المفصل والقابل للتطبيق يكون أكثر كمية من النصوص التي يُفسرها ويُفصلها في مجال العبادات والمعاملات؟

أين مخطوطة صحيح البخاري؟

يقول المؤلف: لذلك نحن نريد المخطوطة الأصلية لصحيح البخاري كما خطتها يمين الشيخ البخاري. وهذا تحد رفعناه مرات عدة قبل خمس سنوات، ولا زلنا نرفعه إلى الآن، نتحدى هؤلاء الشيوخ المداحين، أن يقدموا لنا المخطوطة الأصلية... لا أحد من هؤلاء الشيوخ يعرف، لكن الحقيقة التي يريدون إخفاءها، ونحن نعمل عبر هذا الكتاب اليوم على إظهارها، **وهي أنه لا يوجد في العالم أجمع مخطوطة واحدة،** بخط محمد بن إسماعيل البخاري، لصحيح البخاري! (ص ١٦٣-١٦٤)

والسؤال: هل يمكن لعاقل أن يجزم بعدم احتمال وجودها، وقد تم اكتشاف أجزاء من مخطوطات التوراة الإنجيل، حديثا، أي أن احتمال اكتشافها لا يزال قائما.

فهل ينفي المؤلف بعلمه "للغيب" أنه لا يمكن اكتشافها حتى بعد موته بسنين أو عقود أو قرون؟

يتحدى المؤلف العلماء أن يظهروا المخطوطة الأصلية للصحيح ثم يقول بالحرف الواحد" **لا يوجد في العالم أجمع مخطوطة واحدة**".

والسؤال: هل يدعي المؤلف الألوهية، لأنه يدعي الإحاطة بالموجود وغير الموجود عبر المكان والزمان؟ أم أنه يقول ذلك وهو في حالة غياب الوعي؟

والسؤال الآخر: هل يمكن لأي عاقل أن يرى ويعتقد بأن المخطوطة هي أوثق من الرواية الشفوية من ثقة إلى ثقة أكثر، وبضوابط حازمة أو بدون ضوابط، أي تلقائية؟ وهل من لديه أية ذرة من العقل أن المخطوطة أقل احتمالا للتزوير من النقل الشفوي من ثقة إلى ثقة إلى ثقة، بالنسبة للأحداث الماضية أو أخبار الأجيال التي مضت إلى رحمة الله؟ وبعبارة أخرى، أيهما أوثق أن يقول أبا المؤلف بأن المؤلف ابنه، ويقول الجد أنه حفيده، وأن يقول الجد أن أباه فلان الذي مات ووو إلى أن يوصل نسب المؤلف إلى الإنسان المحدد في الجيل العاشر أو إلى آدم عليه السلام؟ لو افترضنا أن أحدا اتهم المؤلف في انتسابه إلى آدم عليه السلام، فهل نرجع إلى مخطوطة قد يزورها من اتهمه؟ أم نرجع إلى سلسلة الروايات الموثقة أسانيدها؟

ويقول المؤلف مفتخرا باكتشافاته الفريدة التي تؤيد ما وصل إليه بنظارته السوداء "أن هناك ثلاثة عشر نسخة لصحيح البخاري"، دون أن يوضح ما هي نسبة

الاختلافات بين هذه النسخ؟ وما نوع الاختلافات؟ هل هي جذرية تؤثر فيما يستنبط منها؟ أم لا؟

إن الأصل أن العاقل يجمع ما يستطيع من روايات حول الشخصيات أو الأعمال غير المتوفرة بين يديه ولكن تتوفر كتابات حولها.فيطلع على كل أو جل الروايات والأخبار التي تدور حولها، ثم يُحكِّم قواعد البحث العلمي المحترمة. وذلك بالمقابلة بين نسبة الروايات الإيجابية في مقابل الروايات السلبية، واستبعاد المبالغات الواضحة في المدح أو الذم. ويحرص على التأكد من ثبوت الروايات والقصص السلبية أكثر من الحرص على التثبت من الروايات والقصص الإيجابية، وذلك تجنبا لأن يحاسبه العزيز الجبار يوم لا ينفع مال ولا بنون. ثم يرسم السمة العامة للشخصية التاريخية أو العمل التاريخي المحدد، غير المتوفر. (انظر مثلا، منهج أبحاث المؤرخين في خطوات)

الانتقاء في فهم النصوص:

عندما يكون الإنسان متحيزا، قناعة أو استرزاقا، من الطبيعي أنه يميل إلى الفهم الذي يؤيد تحزبه وينتقيه، وإن استوجب الأمر تأليف فهم فلا مانع لديه. ولذلك قد يأتي بتفسيرات، تثير السخرية عند العقلاء.

ينتقد المؤلف بشدة وعنف قول العلماء: "صحيح البخاري أصدق كتاب بعد القرآن الكريم". فيفهم من هذه العبارة أن صحيح البخاري خال من الأخطاء، أو أنه منافس للقرآن الكريم.

لهذا ينتقي معنى لقول عائشة أن الرسول يقول لقد أذكرني أية كذا. (٦٤) باعتبارها تعني أنه كان نسي الآية، فذكّره بها القارئ، بدلا من ذكّرني بمعنى نبهني.

ولجهل المؤلف بأصول الفقه يقول بأن: تحريم لحوم الحمر الأهلية يتعارض مع قوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ }(ص ٣٣) فلم يدرك أن التحريم هو تقييد لمعنى مطلق في الآية، وجاء متأخرا للتدرج في الحكم، إذ كانت لحوم من الحمر الأهلية مصدرا غذائيا راسخا في المجتمع.

ولجهل المؤلف وتكاسله عن البحث يقول هناك: حديث في صحيح البخاري أتحدى أن يفهمه أيّا كان، أو يستطيع شرحه اعتمادا على نصه فقط.

والنص يقول: قلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا، فقال إني سألت رسول لله، صلى الله عليه وسلم، فقال لي. قيل لي فقلت: قال فنحن نقول كما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم (ص ٦٩)

ويعترف المؤلف بأن النص يحتاج إلى السياق لفهمه. وهذا أمر طبيعي بالنسبة لكثير من النصوص، ومع هذا يقول أنه يتحدى... فالرواية الأخرى التي فيها سياق الحديث تقول: سَأَلْتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ؟ فَقالَ: سَأَلْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: قيلَ لِي فَقُلتُ فَنَحْنُ نَقُولُ كما قالَ رَسولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

ومن الفهم الخاطئ قوله عن بعض الأحاديث النبوية: ومن هاته الخرافات حديث "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، رؤيا المؤمن جزء من النبوة.

ويورد حديث "أصدَقُكُمْ رُؤيا: أ صدَقُكُمْ حديثاً" وقول رسول الله "لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة". ويورد قول النبي هذه الأحاديث تتعلق بالرؤيا، يقول ﷺ: ذهبت النبوة وبقيت المبشرات سئل عن المبشرات؟ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له فهي مبشرة بالخير. فيعلق ويقول: الرؤيا الصالحة لا تصلح للمحاججة.(ص ٨٣)

والسؤال: هل ورد في النصوص المذكورة أنها مصدر للتشريع أو دليل في المحاججة، فمن أتيت بهذا المعنى لنص الحديث؟

ومن الفهم الخاطئ يورد حديث حزن النبي على انقطاع الوحي فترة ب "الرسول يحاول الانتحار" فالحديث الذي يرويه الزُّهْرِيُّ عن عُرْوَةُ عَنْ عَائِشة، أم المؤمنين، أَنَّهَا قَالَتْ: وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ سلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**فِيمَا بَلَغَنَا**) حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوس شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أوفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِع"...(ص ١٤٩-١٥٠)

ومن يعرف شيئا عن نقد المتن في أصول الحديث يدرك بسهولة أن عبارة "**فيما بلغنا**" لا يمكن صدورها من عائشة، فهي لا تروي عن المجهولين وتصدقهم، فتردده، لأنها لا تروي إلا ما تشاهده وتسمعه من النبي، صلى الله عليه وسلم، فهي تعايشه، ويفضي إليها بهمومه.

ولهذا لم تغب هذه الحقيقة عن العسقلاني الذي درس وشرح كتاب صحيح البخاري. فنبَه إلى أن الجزء الذي أورده الزهري بعد "فيما بلغنا" هي من زيادات الزهري الذي لم يكن صحابيا.

ويعنون حديث أبي هريرة عندما أوكل إليه النبي حراسة زكاة رمضان"الشيطان يعلم الدين والرسول يقر على التعلم منه". ونص الحديث يقول: وَكَّلَني رَسُولُ اللهِ، صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضانَ فَأتَاني آتٍ فَجَعَلَ يحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللهِ لَأرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ إني مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ... وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ إنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثمَّ تَعُودُ. قَالَ: دَعْني أعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بهَا. قُلْتُ مَا هي؟ قَالَ إذَا أوَيْتَ إلى فِرَاشكَ فَاقْرَأْ آيةَ الكُرسي: ... فَانَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتى تُصبح... فَقَال لي رَسُولُ اللهِ، صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما إنه صدقك وهو كذوب. أتَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أبَا هُرَيْرَةَ قَال لا، قَالَ ذَاكَ شَيْطَانٌ.

يسيء المؤلف فهم الحديث ويختار قول إسلام بحيري في مقاله جاء فيها: "أما الطامة الكبرى فإفصاح النص عن إقرار النبي لهذه الكلمات التي علمّها السارق، الذي سيصبح في النهاية أنه شيطان. وهذا يدخلنا في إشكاليات لا حصر لها، أولها أن الرسول أقر السارق على قول قاله في الدين **لم يعلمه رسول الله**.. وثانيها أن **الشيطان هو الذي يعلم المسلمين القرآن وفضائله**، وثالثها أن الشيطان **يحفظ القرآن جيدا، ويعرف بداياته ونهاياته بدقة**، وغير هذا من الخرافات التي لا يقبلها عقل ولا شرع...

والحق يقال أن خيال البحيري واسع في الافتراء على النص صورة مميزة.
والسؤال: من أين جاء البحيري بهذه المعاني الخيالية؟ فهي ليست موجودة في نص الحديث أصلا.؟ ومن أين جاء بهذه المدلولات التي انتقدها بعنف؟
ويحتج المؤلف بعنف على تفسير صاحب أضواء البيان على الآية التي تحث على أكل الطيبات ويقول: هذا نموذج صارخ عن شيوخ اليوم الذين يميلون إلى إقصاء القرآن والتمكين لمرويات، وقولهم على الله ورسوله بهتانا عظيما. أما الآية فهي تقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (سورة البقرة: ١٧٣) ولم يفهم قولَ صاحبَ أضواء البيان بعدم وجود تعارض بين: تحريم الخمر الأهلية، يوم خيبر والآية السابقة التي تندرج تحتها الإباحة، وذلك لأن الحديث يقيد الإباحة المطلقة، لا يعارضها أو ينسخها. (ص ٣٣)

توهم النظرة الدونية إلى لقب الحبشي:

يقول المؤلف إن الأحاديث التالية فيها "تعريض بالحبشة وذوي البشرة السمراء أو السوداء". ومن هذه الأحاديث قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة." وقول عائشة رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، يسترني بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد. فزجرهم عمر فقال النبي "دعوهم أمناً بني أرفِدة، يعني من الأمن.
وكذلك قول أنس بن مالك: لما قدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بذلك." (ص ٣٦)
ومن الأحاديث قول ابن عمر أن حبشيا دُفِن بالمدينة فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، "دفن في الطينة التي خلق منها، وقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم،"المُلك في قريش والقضاء في الأنصار والآذان في الحبشة."
إن الإنسان الطبيعي يدرك أن هذه التسميات التي تنسب الحبشة إلى بلادهم ليس فيها تنزيل لقدرهم.
والسؤال: لماذا هذا الحقد الدفين للعرب ولقريش الذين أسلموا وللنبي الذي فضّله رب البرية على العالمين؟
ولماذا هذا الفهم الأسود للعبارات والأوصاف الطبيعية؟ هل يشعر بالدونية إذا نسبه أحد إلى وطنه المغرب الذي يقع في القارة الأفريقية؟

الكذب والمبالغة:

يقول المؤلف: إننا بعرضنا هاته النقولات نرمي من خلالها الطعن في شخص البخاري، فما يمكن –في نظرنا- الطعن في أي إنسان كيفما كان بالاعتماد على أقوال بعض الرجال، ففي النهاية هي آراء.(ص١٤٨)
والسؤال: هل يدرك المؤلف ما يقوله؟ إذا كان يدرك ذلك فهو يناقض قوله بما فعله في كتابه. وذلك لأنه، عمليا، أجاز لنفسه صب الشتائم والسخرية على ما يخالف

رأيه، مثل السنة النبوية وعلم السند، وعلى من يخالفه من علماء المسلمين. وإن كان لا يدري فالمصيبة أعظم لأن هذا التناقض من جنس الهذيان الذي يصدر عند غياب العقل والحس، أو يندرج تحت النفاق وهو أشد من الكفر.

ويبدو أن المؤلف مولع بالمبالغة والكذب، فيقول مثلا: وهذا ما يفسر اتباع العديد من الشيوخ ما ورد في الأحاديث، ضاربين بعُرض الحائط كل الآيات والأحكام الواضحة الواردة في القرآن، ويمكن أن نضرب العديد من الأمثلة لذلك.(ص٢٧)

يمكننا أن نأتي بعشرات بل بمئات الأحاديث التي تعارض القرآن جملة وتفصيلا، وتسيء إلى مقام الألوهية والرسالة معا، والمانحة من مستنقع الخرافة، والمصادمة للعم والعقل من كتب الحديث بما فيها صحيح البخاري، ولكن اكتفينا بهذين المثالين."(ص٢٩)

وتحت عنوان "السنة ناسخة للقرآن" يقول: ويمكننا أن ناتي بعشرات بل مئات الأحاديث التي تعارض القرآن جملة وتفصيلا، و تسيء أيضا إلى مقام الألوهية والضلالة معا، والماتحة من مستنقع الخرافة، والمصادمة للعلم والعقل، لكن اكتفينا بهذين المثالين. (ص ٣٠)

ويقول: كل هاته الملل والنحل والمذاهب والطوائف والعرقيات استغلت تفشي المرويات التي بلغت مئات الألوف من الأحاديث المتضاربة المتناقضة، وكلها منسوبة إلى الرسول الكريم (ص ٣٤)

وكذلك يقول : ويمكن أن نمضي في هذا بدون نهاية، فكل فئة من المجتمع المكون للدولة الإسلامية آنذاك حاولت أن تجد لها مكانا يبوئها ما تصبو إليه من خلال اختلاق روايات وأحاديث وآثار، ولم تقف عند هذا الحد بل حاولت كل فئة أن تجد للفئة المناوئة لها من الأحاديث والآثار ما تذمها به، وتكفرها به وتدخلها به إلى جهنم وبئس القرار.(ص ٣٨)

وعن الصحابة يقول: ما على القارئ إلا قراءة سورة التوبة التي يسميها البعض الفاضحة فقد ورد فيها كثيرا من الانتقادات لهم، وأظهرت حقائق العديد منهم.(٥٢)

ويقول: لعل الشخصية الدينية الأكثر تأثيرا في التاريخ الإسلامي هي شخصية «محمد بن إسماعيل البخاري» لما حملته من ملامح جعلت البعض يغالي فيها ليرفعها إلى مقام الأنبياء أو أ كثر، وكذا الكتاب المنسوب إليه« صحيح البخاري » الذي تم رفعه إلى مستوى أن يقارن بكتاب الله. (٧٤)

وتحت عنوان ""الخرافة بالأرقام" يقول: إن الغلو في كتاب صحيح البخاري، وجعله مع كامل الأسف فوق كتاب الله تعالى الموحى إلى نبيه، رغم كم الأباطيل والخرافات والأساطير التي يزخر بها هذا الكتاب، أصبح من الأمور المسلمة لدى الشيوخ، بل إن من يتصفح هذا الكتاب سيقف على إساءات كبيرة في حق الله، وفي حق نبيه، وفي حق كتاب الله، وفي حق أمهات المؤمنين، وفي حق الإنسانية جمعاء، وإهانة للعقل البشري بشكل لا يمكن وصفه. (ص١١٩)

ويقول: سيصدم القارئ من هول المفاجأة حينما سيكتشف حقيقة مجموعة كبيرة من الأحاديث المسيئة إلى الإسلام ولنبي الإسلام، بل لرب العالمين داخل هذا الكتاب ،والتي لن نعرضها كلها، بل سنكتفي بعرض نماذج منها فقط، (ص١٤٩).

فهو يقول عن صحيح البخاري بأنه: مليء بالطوام الكبرى والخرافات الجسيمة والإساءات البالغة للدين وللرسول ولرب العزة وللإنسان وللحيوان.(ص ١٦٣)

أكذوبة السُّنة القاضية على القرآن:

مما يشد انتباه المستعرض للكتاب أن المؤلف حريص على انتقاء الفهم الذي يؤيد توجهه الذي يتمثل في شتم السنة النبوية وعلمائها، بل وعلماء المسلمين كافة المسلمين. ليس هذا فحسب ولكنه يسبح في الخيال ليكذب على علماء الإسلام كذبة جريئة وصريحة تفوق تصور الإنسان الطبيعي، وهي أنهم يقولون بأن السنة فوق القرآن.

يقول المؤلف: إذن فتحّول تدوين الحديث إلى آفة جعلت المسلمين يبتعدون عن كتاب الله و.أصبح التشريع يؤخذ بالأساس من الحديث بدل القرآن. فانشغل الناس بالحديث وجمعه والاستنباط منه في حين لم يعد للقرآن دور إلا في الاستشهاد للنص الحديثي. (ص٢٠)

وتحت عنوان "السنة قاضية على القرآن" يقول: من يقرأ هذا العنوان سيصاب بالدهشة من أول وهلة، حيث أن المنطق يقول: إذا كان القرآن هو الأصل الأول من أصول التشريع بالاتفاق، وهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بن يديه ولا من خلفه، فكيف ساغ لهؤلاء القول بأن السنة قاضية على الكتاب؟! (ص٢٧، وانظر صفحات تكرار هذا البهتان في الحاشية)

ويضيف: إذن من خلال هذه النقول نجد أن هؤلاء الشيوخ اعتبروا المرويات المأثورة عن النبي، وهي في غالبها العام ظنية الثبوت، قاضية وحاكمة على القرآن القطعي الثبوت، وهذا كلام فيه خبء معناه ليست لنا عقول، فمن يتجرأ على هذا القول بهذا الشكل، وبدون أن يرف له جفن، سأشك في عقله إن لم أشك في إيمانه. (ص ٢٧)

ويقول: هنا أتساءل والحرقة تعتصر قلبي وتغتصب عقلي اغتصابا ،إذا كان كتاب الله الذي مصدره المطلق اللانهائي ،صاحب العلم الكلي، يُنسخ وتُلغى أحكامه لصالح مرويات بشرية نسبية في كل شيء، حتى لو صحت نسبتها إلى الرسول الكريم، فما معنى نزول هذا الكتاب إلينا، وما الفائدة منه، وهو غير قائم بذاته ويحتاج إلى غيره، مما هو أقل منه منزلة بأشواط إن صح التعبير.(ص ٣٣)... وكل هاته الملل والنحل والمذاهب والطوائف والعرقيات استغلت تفشي المرويات التي بلغت مئات الألوف من الأحاديث المتضاربة المتناقضة، وكلها منسوبة إلى الرسول الكريم ليتم تغييب القرآن تغييبا نهائيا، وتحل محله آفة تدوين الحديث.(ص ٣٤)

ويقول: لكن مع من نتحدث ومن نحاور؟ أمع الناس الذين يعتبرون تلك الروايات التاريخية والتي لا يمكن أن تتجاوز كونها تراثا، "يعتبرونها قاضية على القرآن وناسخة له، لاغية لأحكامه وناقصة لها، ألا شاء ما يزرون.(ص ٣٨)

ومع هذه الكذبة الكبيرة الجريئة لعلماء الإسلام **يأتي باستشهادات** تفسر المقصود بكلمة "قاضية"، ولكنه لا ينتبه إليها، لأنه غارق في خياله، لا يدرك ما يقرأه ويكتبه، ومصر على الكذبة التي يلصقها بعلماء المسلمين ويهاجمهم بعنف.

فمثلا، يستشهد بقول الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب. قال أبو عمر: يريد أنها تقضي عليه، **وتبين المراد منه**.(ص ٢٧)

ويقول تحت عنوان "السنة ناسخة للقرآن" يقول : بعد أن حكموا بأن السنة قاضية على الكتاب، بمعنى **أنها مبينة ومفسرة وحاكمة**، لم يجدوا مخرجا لإزاحة التناقضات الواضحات للحديث في مواجهة القرآن، إلا أن يحكموا بأن السنة ناسخة للقرآن. وهم بذلك عملوا أيضا على تكريس مبدأ السيادة المطلقة للمرويات على كتاب الله، فلم يعد له أي دور في حياة الناس إلا أن يتلى لطرد الشياطين، أو يسترقى به لدفع الأمراض، أو للقضاء المبرم على العين والحسد، أي أنهم ربطوه بالخرافية، وجعلوا منه وسيلة للاسترزاق... (ص ٣٠)

ومثاله: ما ورد عن الإمام أحمد بن حنبل لما سئل عن القول بأن السنة قاضية على الكتاب قال: "ما أجسر على هذا أن أقوله بل أقول أن السنة **تفسر القرآن وتبينه**".

ويستشهد المؤلف بالتفسير الصحيح لكلمة قاضية تحت عنوان "السنة ناسخة للقرآن" دون أن يدري: بعد أن حكموا بأن السنة قاضية على الكتاب، بمعنى **أنها مبينة ومفسرة وحاكمة**، لم يجدوا مخرجا لإزاحة التناقضات الواضحات للحديث في مواجهة القرآن، إلا أن يحكموا بأن السنة ناسخة للقرآن، فلم يعد له أي دور في حياة الناس إلا أن يتلى لطرد الشياطين، أو يسترقى به لدفع الأمراض، أو للقضاء المبرم على العين والحسد، أي أنهم ربطوه بالخرافة، وجعلوا منه وسيلة للاسترزاق...

كما يناقض نفسه فيستشهد ب ١٨ حديث في فضل القرآن، من الكتب التي يعتبرها أساطير، ومنها صحيح البخاري. فهذه الأحاديث النبوية تؤكد فضل القرآن، وليس فيها نص يفيد بأن السنة قاضية على القرآن كما يصر المؤلف على تخيله، وإلصاقها بعلماء المسلمين زورا وبهتانا. ويكفي العاقل تصفح كتاب من كتب أصول الفقه لينكشف هذا الكذب الجريء الذي يناقضه هو بنفسه. (مثلا أصول الفقه في خطوات)

والسؤال: ألا ينتبه المؤلف إلى أن كلمة قاضية لا تعني الضربة القاضية في الملاكمة، ولا يقضي عليه، أي يزيله من الوجود؟

وهل يدرك أن تعليق الإمام أحمد يؤكد المعنى الصحيح، ولكن يعترض على أسلوب التعبير عنه، حيث يقول: "بل أقول أن السنة تفسر القرآن وتبينه"؟

وألا يعتقد المؤلف أن الذي لديه أدنى درجة من الذكاء والمعرفة يدرك أن المقصود بأن السنة "قاضية" أي يُبيِّن ويفصل الآيات المطلقة ظنية الدلالة؟

ويشهد هذا المعنى ما أورده المؤلف، دون أن يدري، وباستشهاده بقول عائشة: فالسنة تفسر وتضع الأحكام الشرعية في القرآن في صيغها التطبيقية المقيدة أو المحددة. ومثاله حين يأمر الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ

الرَّاكِعِين}.(سورة البقرة٤٣{). فتأتي السنة لتوضح كيفية الصلاة وشروطها، وأنواع الزكاة وأنواعها وأنصبتها ومقاديرها. ويحرم الله الربا، فتأتي السنة لتعرف الربا المحرم، من بين المعاملات التي يأخذ فيها الدائن أو البائع زيادة على القيمة على المبلغ المستلف والقيمة الحاضرة وقت المبايعة. وهذا معلوم حتى عند الغارقين في الحضارة اللادينية الجاهلين لدينهم، فاللوائح، مثلا تفسر الدستور والأنظمة الأكثر عمومية.

استحالة وجود حفظ البخاري:

ويقول تحت عنوان "**أسطورة الحفظ الأسطوري** " في نفس سباق وسياق ولحاق سيرة الإمام البخاري المحفوفة بالأساطير، نجد أن الرواة كي يكملوا تلك الحلقات الخرافية أضافوا إليها أيضا أسطورة الحفظ ،أو الحفظ الأسطوري، حتى أن أحدهم كتب مقالة في مجلة العربي الجزائرية عنونها: «البخاري بطل العالم في الذاكرة» مؤكدا تفوقه على أهم الشخصيات العالمية في عصرنا وفي كل العصور، على صعيد الحفظ والتذكر، حيث اعتبر أن ذاكرته أسرع من ذاكرة الكمبيوترات العملاقة. (ص ٩٩)

ويقول المؤلف: فقد جاء عن حفظه الأسطوري في البداية والنهاية لابن كثير ما نصه: «ولد البخاري ...، فألهمه الله حفظ الحديث وهو في المكتب، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل: إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا... ولك أن تتصور الكم الهائل من الأحاديث «السبعون ألفا» التي كان يحفظها البخاري بتراجمها وأسانيدها، وما قيل في رجال هاته الأحاديث فردا فردا، من جرح أو تعديل، ودرجة كل حديث من حيث الصحة أو الضعف،... وهو ما زال صبيا في سن اللعب، فعلى هذا يجب أن يكون البخاري قد بدأ **حفظ الأحاديث قبل أن يولد**، حتى لو لم نأخذ بعين الاعتبار سنوات تعلمه اللغة و"علومها"، والفقه و"علومه"، والحديث و"علومه"، ولم نأخذ بالاعتبار سنوات رضاعه، ثم تعلمه الحبو فالمشي فالهرولة، ثم سنوات تعلمه النطق فالكلام ،ثم سنوات لعبه مع الأطفال. فبالرغم من عدم أخذنا في الاعتبار بكل هذا، فانه رغم ذلك، ستبقى مسألة حفظ البخاري خرافة كخرافات أخرى نقلت إلينا بدون تمحيص من ناقليها عبر كتب التراث المليئة بهذا الخبل «التاريخي» والذي يرمي بالأساس إلى خلق شخصية أسطورية عصية على النقد، أو الطعن. لهذا نسب إليها ما لا يقبله عقل ولا منطق. (ص ٩٩)

لقد دفعني كلام المؤلف ومن على شاكلته في رفض المواهب الربانية الخاصة إلى التحدث مع بعض المختصين والنشطين في إنشاء ورعاية حلقات حفظ القرآن والتدريس فيها سنوات عديدة، وسألتهم عن إمكانية وجود هذه الحالات الاستثنائية في القدرة على الحفظ، فكانت إجابة أحدهم : ألا تتابع وسائل الإعلام المؤسسية (المطبوعات ومحطات الإذاعة والتلفاز) والفردية (ما يرد في شبكة الإنترنت)؟ قلت بلى، ولكن بعض الباحثين والدكاترة المجتهدين يتصورون استحالتها. فكان ردة الفعل

عند أحدهم أن: هناك ثلاث احتمالات: إما أن هؤلاء يعيشون في كهوف، أو أن الأصل أن يكونوا في ملاجئ خاصة، أو أنهم من المخلوقات التي لا تحسن إلا النهيق، فيحسبون أن جميع المخلوقات مثلهم، وليست هناك مخلوقات قادرة عن التعبير بدقة عالية عن المعلومات والأفكار والمشاعر.

ويقول المؤلف: كيف يمكن للشيوخ الذين كانوا يعلِّمون الحديث البخاري أن يسردوا ثلاثة أحاديث في الدقيقة ليحفظها البخاري.(ص ١٢١)

والسؤال: هل يمكن للمؤلف أن يجرب بنفسه، قراءة ثلاثة أحاديث من التي أوردها في كتابه، ويحاول ولو لمرة واحدة، ليدرك خطأ خياله وتقديره؟

وأما عن قضية موهبة الحفظ عند البخاري فالسؤال: هل يعلم المؤلف شيئا عن حلقات تحفيظ القرآن الكريم واسعة الانتشار في العالم، ومدارسها شيئا؟ أم أنه يتجاهلها حتى يروج لما يتخيله؟ أو أنه مشغول بارتياد أماكن أخرى لا علاقة لها بالدين.

***المصطلحات*:**

هناك خلط في تعريف المصطلحات وتخبط وتناقضات ملفتة للانتباه للمصطلحات ذات العلاقة بموضوع كتاب المؤلف.

مفهوم العلم وعماد حسن:

يستشهد المؤلف بما ورد في مقال الدك تور عماد حسن، بعنوان "خرافة علم الرجال" فهو يقول أن من شروط "العلم" لأن يكون علما مثل علم الكيمياء، وعلم الفلك، وعلم الجيولوجيا يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية: (ص ٤٥-٤٨)

١ – وحدة الموضوع.

٢ – أن يكون قابلا للاختبار في مصداقيته في الهند والصين... وفي أي زمان، ويكون متاحا للجميع إجراؤه حتى تكتسب المصداقية العلمية، وإلا فإن أي ادعاء وفشل الناس في اختبار المنهج الذي قام عليه هو خبط عشواء. وتندرج تحت حركات السحرة والحواة البهلوانية التي تقوم على الخداع. "فإن تناقل الأقوال بين مسلسل من الأفراد بينهم عقود من الزمن تمتد في المسلسل الواحد (إسناد الحديث) إلى تسعة أجيال في غالب الروايات ليس إلا خرافة وأكذوبة"...." يكفيك أن تهمس في أذن تلميذ في بداية الفصل بجملة طويلة وتطلب منه أن يهمس بها في أذن جاره وتنظر كيف تتغير الألفاظ والمحتوى عندما تصل الجملة للتلميذ الأخير في الفصل". فإذا كان الأمر مستحيلا في نفس الفصل تحت سقف واحد، وفي بيئة واحدة وزمن واحد، فمن الخرافة تصديق أن فلانا روى عن فلان، وقال أن فلانا قال له...إلى نسبة القول إلى النبي عبر عدد من القرون." "وأن سلسلة رواية نص السنة أمر مستحيل لأن التلاميذ لو همس بعضهم لبعض بجملة فلن يمكنهم نقله كما سمعوه ، وسيتعرض النص للتغيير مع كل مرة يهمس به الأول إلى من يليه."

ويستطرد:... مع العلم أن ما يزعمه كهنة علم الرجال من حفظ روايات النبي قد تم في ظروف كان التباعد الجغرافي والزماني والبيئة الاجتماعية والمتغيرات

السياسية من أعقد ما عرفته الإنسانية، ويستحيل معه حدوث هذه الظاهرة،... فظاهرة تناقل الروايات كما هي ليست إلا أكبر أكذوبة في تاريخ الأديان في العالم بينما ادعاء مصداقية الجرح والتعديل للرواة بعكس حقيقة الرواة كما يتوهم أهل الحديث اليوم.

٣- يجب أن تكون التجربة قابلة لإعادة الإنتاج. هنا تكون المفصلة.

وهناك ثلاث مشكلات في شروطه لتصبح الدراسة "علما".

المشكلة الأولى في هذا التعريف للعلم أن الدكتور عماد حسن ينطلق من المنهج المادي في البحث والذي ينكر وجود الغيبيات، ومنها وجود الله . ونحن المسلمون نؤمن بوجود الله والغيبيات، ليس لأننا ندركها بحواسنا الخمس، ولكن لأننا ندرك انعكاساتها القابلة للإدراك الحسي، مثل أفعالها ومنتجاتها. فهذا المنهج "العلمي" الذي يعتمد عليه قدوة المؤلف ويثني عليه، يعتمد على المحسوس. ومشكلة من يؤمن بهذا المنهج أنه لو فرضنا أن أحد آبائه لا يشبه أجداده الأموات، فهنا يدخل الشك في انتسابه إلى آدم، عليه السلام، ولا ينقذه من تلك التهمة إلا أن نعتمد على ما يسمى بالفراسة، التي يعتبرها أصحاب المنهج المادي من "حركات السحرة والحواة البهلوانية".

والمشكلة الثانية هي أن الدكتور عماد يشترط التجربة التي تعطي نتيجة واحدة لاستحقاق كلمة علم التي لا يستحقها -في نظره- علم الرجال. ومن لديه الحد الأدنى من المعرفة بالعلم يدرك أن هذا الشرط لا ينطبق إلا على العلوم الطبيعية، أي الدراسات الخاصة بالأشياء العضوية المحسوسة. وأما العلوم الإنسانية فلا تخضع لهذا الشرط، ومنها علم النفس وعلم الاجتماع. (انظر مثلا، صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، الفصل الثاني). ومع هذا يناقض الدكتور نفسه، من حيث لا يدري، فيسميهما "علم" النفس و"علم" الاجتماع.((ص٤٥) فأي تناقض هذا في منهج التحليل والفكر؟

ومن الواضح أن الدكتور عماد غارق في المنهج المادي للأبحاث، وهذا المنهج لا يعترف بوجود ما لا يدركه الإنسان بحواسه الخمس مباشرة، ويرفض الاستنتاج. وهو إضافة إلى ذلك لا يعرف أن هناك فرقا بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية وأن لهما مناهج بحث مختلفة. فالدراسات الطبيعية تندرج فيها دراسات أعضاء الإنسان مثلا، والدراسات الإنسانية تندرج تحتها دراسات التكوين الروحي، والعقلي، والعاطفي للإنسان. وهذه الثلاث لا تخضع للتجارب الحسية، ولكن يمكن دراسة انعكاساتها لنستدل بها على حالاتها.

والسؤال: هل يعرف الدكتور عماد الفرق بين تلاميذ المدارس وبين العلماء المتخصصين في رواية الحديث. إن كان يعلم فهو يكذب، وإن كان لا يعلم الفرق بين متخصص في الحفظ والنقل وربما متمرس فيه والتلاميذ الذي لا يصدقون سماع جرس الفسحة، فيندفعوا خارجين من الفصل. فكيف نأخذ كلامه "العلمي" ونعتمد عليه؟

وهل يعرف الفرق بين أن يهمس التلميذ إلى وميله، وأن يجلس طالب العلم المتشوق لتلقي ما الحديث لذي يريده أو سعى إليه من بلاد آخر ليحصل عليه؟

وهل يتفضل ويسأل أحد الأطفال في الابتدائية ليعرف الفرق بين الاثنين؟

مصطلح "حديث"

يقول المؤلف: يُعرف "علماء" الحديث مصطلح حديث بأنه: "ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، أو تقرير، أو وصف خَلْقي أو خُلُقي". ويؤيد قول أمنا عائشة "فكل شمائله وأخلاقه- صلى الله عليه وآله وسلم- كانت تطبيقا عمليا للقرآن، بمعنى أنه كان بإمكان أي مطّلع على القرآن، أن يعرف شمائل المصطفى من خلال كلام الله. (ص ٢٦)

ويؤكد هذا التعريف السابق بقوله: إذا كان الحديث الذي يخرج من فم الرسول وأفعاله التي يقوم بها وتقريراته أيضا، ودينا باعتباره الأسوة الحسنة لنا...(ص٤١)

ويضيف: الحديث بهذا المعنى خاص بالمرفوع إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، على ما ذهب إليه كثير من المحدِّثين وجَروا عليه في كتبهم، غير أن البعض من هؤلاء المحدثين من **يُدخِل في تعريف** الحديث أقوالَ الصحابة والتابعين وأفعالهم!!!، ويشهد لهذا صنيع جمهور المحدِّثين؛ فقد جمعوا في كتبهم بين أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، ولك أن تتعجب من هذا. (ص ٤١)

ومع هذا فإن المؤلف يناقض نفسه، من حيث لا يدري، حيث يصر على أن الأحاديث النبوية "كلام النبي". ويكرر فهمه هذا حوالي ٩ مرات بإصرار في كتابه. ويصر المؤلف على تصوره الخاطئ ويكررها في مواضع متفرقة، حيث يقول: يكون معنى الحديث في كتاب الله غير معناه عند المحدثين "كيف جاز لهم أن يصفوا كلام رسول الله بالحديث...مع أن الله في كتابه يعطي المعنى **الاصطلاحي** الحقيقي لكلمة "الحديث" وهو كلام الله. (ص ٤٣)

ويقول : ومن الأعذار الغريبة جدا، والخطيرة جدا، والتي يستدل بها هؤلاء لتفسير منع الرسول للكتابة كلامه هي قولهم: "**إن منع الحديث جاء في صدر نزول الوحي حتى لا يختلط على الناس** كلام الرسول بكلام الله فلا يميزون هذا عن ذاك"، (ص ٢٥-٢٦)

ومن هنا يبرز لكل ذي لبّ حكيم ،أن فقه هؤلاء وفهمهم لا علاقة له بالقرآن الكريم، وأن دينهم لا يأخذونه إلا من روايات تاريخية لا قدسية لها، حتى صدق فيهم قول الله عز وجل: {وقالَ الرسولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَومي اتَّخَذُوا هَذَا الْقرْآنَ مَهْجُورًا} (الفرقان: 30). (ص٤١- ٤٣)

وتحت عنوان "رواية الحديث بالمعنى"يظن معظم الناس أن الأحاديث التي ترد في كتب الحديث عن رسول الله أنها واردة عنه باللفظ كما قالها الرسول.(٥٣) و"وأن الأحاديث التي جاءتهم عن رسول الله، صلوات الله عليه، قد رويت عنه بمعناها، لم يستطيعوا أن يأتوا بها على حقيقة مبناها...(ص ٥٤)

ويستشهد بقول أبي رية "عند نهي النبي عن كتابته أي الحديث يحسب الذين لا خبرة لهم بالعلم، ولا علم عندهم بالخبرة، أن أحاديث الرسول التي يقرأونها في الكتب، أو يسمعونها ممن يتحدثون بها، قد جاءت صحيحة المبنى محكمة التأليف،

وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق النبي بها، بلا تحريف فيها ولا تبديل.(ص ٥٥)

ويستشهد بقول أبي رية الذي يقول "إن رواية الحديث بالمعنى لتفيد بما لا يدع مجالا للشك أن الصحابي يروي فهمه لكلام الرسول وينسبه للرسول، والتابعي يروي فهمه لما فهمه الصحابي من كلام الرسول. ومن روى عن التابعي فهو يروي فهمه أيضا عن فهم التابعي لفهم الصحابي عن رسول الله، وهكذا تتسع حلقات فهم من فهم عمّن فهم عمّن فهم عمّن فهم عن رسول الله (٥٩) هل نحن أمام كلام الرسول مباشرة أم نحن أمام فهم الرواة عن بعضهم البعض إلى رسول الله؟(٦٠)

والسؤال: هل يعرف المؤلف أو أبو رية أن جزءا كبيرا من الأحاديث النبوية هي وصف من الصحابة لأفعال وإقرارات للنبي، عليه الصلاة والسلام، وليست أقوالا حرفية للنبي. ولهذا من الطبيعي أن تختلف طريقة التعبير باختلاف الصحابي الراوي. كما قد تختلف عند انتقال الرواية من راو إلى آخر، لأن حرية التعبير جائزة بشرط مراعاة الدقة في المدلول التي وضع نقد المتن ضوابط لها.

ومن جهل المؤلف بالمصطلحات لا يفرق بين الإسلام الذي جاء به النبي، صلى الله عليه وسلم، والفرق المنحرفة عنه فيقول، مثلا: تحت عنوان "حرب الروايات": بعد أن تمزقت أمة المسلمين مزعا متفرقة ،شيعة وسنة، ومرجئة وخوارج، وقدرية وجبرية، وغيرها من الطوائف والمذاهب. (ص ٣٤)

ومن الكذب والتحايل على القارئ يقول بأن في القرآن عشر آيات: ٣ آيات منها تشير إلى أن كلمة"حديث" كلام بشر، و ٧ أيات تشير إلى كلام الله، ويعلق بأن معظمها تشير إلى أنه كلام الله. ومن يحصي هذه الكلمة في القرآن يجد أن ١٠ منها تشير إلى كلام البشر، و٨ تشير إلى أنه كلام الله.

والسؤال: هل العشرة من ١٨ أية يمثل "معظمها" أم "الثمانية"؟

يقول: لكن يبقى السؤال الذي يفرض نفسه وبإلحاح هو: ما هو تأصيل هاته الكلمة؟ سيما إذا علمنا أن معنى الحديث في اللغة كما في لسان العرب لابن منظور هو: "الجديد من الأشياء، نقيض القديم ،ويُطلَق على الكلام، قليله وكثيره لأنه يحدث ويتجدَّد شيئا فشيئًا، وجمعه أحاديث". وأما إذا رجعنا إلى كلمة «حديث» فنجدها بالمعنى اللّغوي في القرآن، كهاته الآيات: جاءت لفظة حديث بمعنى كلام الله، وجاءت وصفا أيضا لكتابه المنزل على نبيه، ومن مثل هاته الآيات: فيأتي بعشر آيات، منها ٣ بشرية، ٧ كلام الله (٤١-٤٢) ومن يحصي الآيات التي وردت فيها كلمة حديث يجد ثمانية عشرة ومنها ثمانية تعني كلام الله.

علم أصول الحديث:

إن القارئ حتى من لديه فقط ألف باء المعرفة في علم أصول الحديث يمكنه ملاحظة التناقضات والخبط عشواء في فهم المؤلف لهذا العلم، ومكوناته ومصطلحاته: نقد المتن والسند، مصطلح الصحابي والعدالة. فالمؤلف لا يرى ضرورة لعلم أصول الحديث الذي يضع الضوابط لسلامة عملية النقل للمعلومات وللأخبار عبر القرون المتعاقبة، والذي يعتمد في فحص المصداقية على منهجين: نقد

المتن باستخدام العقل، ونقد السند باستخدام سلسلة الأسانيد، بعد التأكد من أمانة ناقليها وكفاءتهم في النقل.

نقد المتن والسند:

يقول: ثم إن "علم" الرجال انصب على دراسة رجال الحديث دون النظر في المتن -وهو الأهم- فبدأوا يجرحون على هواهم، متأثرين بالعصبية المذهبية، وبالشائعات أحيانا.

ويقول: ونجد أن رجالا وثّقهم البخاري ضعّفهم آخرون، ورجال ضعّفهم البخاري ووثقهم آخرون، وأيضا تعديل وتجريح الرجال خضع للأهواء المذهبية. فرجال السنة الموثقون لديهم يضعفهم الشيعة، ورواة الشيعة الموثقون لديهم يضعفهم السنة وهكذا، لنخلص في النهاية إلى أن علم الرجال أ كذوبة تاريخية تم التهويل بشأنها من أجل نسبة أحاديث للرسول هو بريء من أغلبها. (ص٥١)

ويستشهد المؤلف بمقال للدكتور عبد الفتاح عساكر عنوانه" إحصائية عن الروايات... حسب نقل المؤلف.(١٢٣- ١٣٦)

يقول عساكر في نقده للبخاري: العقلاء وحدهم يتعاملون مع المكتوب، فيقول: دعونا نقوم بعملية حسابية بالأرقام لنختبر قول الشيخ البخاري بخصوص جمعه 600,000 حديث، وذلك بمعدل خمس دقائق لكل حديث "وهو **وقت أقل مما يأخذه سلق البيض** في زمن المعلومات المعاصر، فما بالك في زمن كان فيه السفر... للتحقق، حيث يأخذ شهورا على ظهور النوق."

ويضيف: فلو سلمنا جدلا أن البخاري كان يجمع الحديث بمعدل حديث واحد في اليوم، لكان استغراقه في جمع شتات الأحاديث 600000 المبعثرة عبر رقعة دولة الخلافة آنذاك، ستمائة ألف يوم، أي أنه سيحتاج إلى أزيد من ألف وستمائة سنة، بمعنى أن البخاري لازال إلى يومنا هذا يجمع أحاديث رسول الله، وبالتالي يستحيل أن يجمع ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة كما يشتهي ويدعي المقدسون للتراث من عباد البشر.

ويجري عملية حسابية بناءا على معلومات مغلوطة، حيث يفترض أن البخاري كان سيعمل مدة ثمان ساعات فقط يوميا، وأن الحديث يأخذ بين الخمس دقائق لتعلمه يخرج بنتيجة تفيد أن البخاري يحتاج إلى سبع عشرة سنة، ويحتاج إلى ٣١ عاما إذا كان الحديث يأخذ عشر دقائق. وحسب قول البخاري أنه استغرق في جمع الأحاديث النبوية مدة ١٦ عاما.

ويضيف من يؤيده: فالأرقام لا تكذب، ولا تترك مجالا لشك. إن علم الحديث الذي يدعيه الشيوخ ما هو إلا علم الكذب وسلق البيض. ولذلك نجد كتب الحديث المبكرة برغم قربها أنها أقرب من الحدث تحوي على أحاديث أقل من كتب الحديث المتأخرة مثل كتاب البخاري فالصحيفة الصحيحة لهمام ابن منبه تحتوي على ١٣٨ حديثا فقط.(ص ١٢٦)

من الواضح أن الدك تور يريد أن يصل إلى نتيجة مرسومة عنده فاستخدم بيانات مغلوطة وغير واقعية، حيث افترض أنه سيجمع حديثا واحدا في اليوم

ويعمل ثمان ساعات يومي فقط.

ولو استخدمنا المعلومات الصحيحة، وافترضنا أن البخاري يجمل ما متوسطه عشرة أحاديث في اليوم،و كان يعمل فقط نصف اليوم، أي ١٢ساعة، غير الواقعية في فإنه سيحتاج إلى ...

ويضيف المؤيد لعساكر: إذا كان البخاري اختار حوالي سبعة آلاف حديث من أصل 600,000 حديث فهو أكبر منكري الحديث"

والسؤال الموجه لعساكر ومن والاه: لو تساهلنا وقلنا بأن الحديث لحفظ البخاري له يستغرق بين الخمس والعشر دقائق، هل يمكن لعاقل، فضلا عن دك تور، أن يفترض بأن من يتنقل على ظهور الحمير والبغال لجمع الأحاديث النبوية لا يعمل سوى ثلث اليوم، ولاسيما مع عدم وجود إذاعات أو تلفزيونات أو إنترنت ليضيع فيها الثلث الثاني من ليوم، ويستخدم الثلث الأخير للنوم وللراحة؟

وصحيح أن الأرقام لا تكذب ولكن ألا تعتقد أن من يصنعها قد يكذب جهلا أو عمدا فتعطي العملية الحسابية نتائج خاطئة؟ ومثاله أن تكذب وتحاول خداع القارئ فتقول بأن البخاري يقول بأنه استغرق منه جمع 600.000 حديث، وذلك بدلا من القول بأن الستة عشر عاما قضاها فقط في تصنيف صحيح البخاري. فليس من المعقول أن يبدأ في جمع الحديث وهو في الثانية والأربعين من عمره، فالثابت أنه بدأ جمع الأحاديث في بدايات العشرين من عمره.

وهل يمكن في ضوء هذه الحقيقة المرة أن نقول بأن الدكتور كذّاب في كل ما قاله ويقول؟

وألا يعتقد المعلق بأن منطقه معكوس، لأنه يقول بأن من يجمع أقوال العديدين عبر الأعوام المتراكمة من الرواة يجب أن يكون أقل مما جمعه كل راو على حدة؟

ألا يعتقد المعلق بأنه يمزح أو بتغافل عن الحقيقة بقوله أنا البخاري أكبر منكر للحديث، وذلك لأن البخاري كان يقوم بعملية تصفية مستمرة لما يرويه، فيثبت في كتابه ما يصح عنده بشروطه. وليس كمن يدري ما يتحدث عنه، ويتقبل الغث والسمين الذي يصل إلى سمعه مما ينسجم مع مزاجه.

مصطلح الصحابي:

يمكن تلخيص قول جمهور العلماء في العدالة بما يلي:

أولا - الصحابي هو من لقي النبيّ صلّى الله عليه وسلم مؤمنا به ، ومات على الإسلام. وقد ورد في تعديلهم قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا }. (سورة الفتح:١٠)

وقوله تعالى: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ

عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}. (سورة التوبة: ١٠٢)

والصحابة من البشر؛ وهم متفاوتون في درجة العلم بتعاليم رب العالمين ودرجة تطبيقها. وقد تكون لهم زلات عن غفلة فتندرج تحت الخطأ والنسيان المعفو عنه. وقد يخطئ مدفوعا بتحقيق الرغبات البشرية التي تندرج تحت الحقوق الشخصية فتكفيه التوبة الاستغفار، وقد يترتب على الخطأ حقوق للآخرين فيكفر عنه تعويض الآخرين عن حقوقهم ونيل العقاب الذي شرعه رب العالمين.

ثانيا - بالنسبة للمنافقين، فهم معدودون من بين أهل المدينة.. وهم معرُوفون عند الصحابة الذين يعيشون معهم، من خلال سلوكهم، وأقوالهم. فمثلا كان الله يكشف حقيقتهم ويعلمه النبي فردا فردا، وثبتت توبة بعضهم، فماتوا مسلمين. وأما الذين ماتوا على النفاق فهم أقل كثيرا.

ولقد علِّم النبي، عليه الصلاة والسلام، حذيفة ابن اليمان العلامات التي يَعرِف بها المنافقين بالنظر إلي سيماهم. وكان ذا فراسة ملهم إذا نظر إلى الرجل يعلم أنه مؤمن أو منافق. وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة لم يُصلِّ عليها حذيفة، إذا كان حاضرا، وتوفي في العام الهجري ٣٦ بالمدائن، وذلك بعد مَقْتَلِ عثمان بن عفان بأربعين ليلة. وبعبارة أخرى، مكث مدة كافية تمنحه فرصة كشف المنافقين إن رووا حديثا.

ومن الأدلة على أنهم معروفون قول كعب ابن مالك أحد الثلاثة الذي تخلفوا، تكاسلا، عن الانضمام إلى الجيش في غزوة تبوك كنت: " إذا خرجت إلى الناس بعد خروج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فطفت فيهم: أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء". (البخاري ومسلم)

ولا شك أن نسبة المنافقين الذين فضحهم الله في سورة التوبة محدودون؛ لا تمثل إلا نسبة ضئيلة جدا جدا، مقارنة بعدد الصحابة الذي يزيدون عن مائة ألف. وهذا مبرر علمي قوي وفطري لتعميم صفة العدالة عليهم جميعا. وهو بعكس المنهج الذي يعمم أربعين حديثا على سبعة آلاف حديث وأكثر.

ويروج المؤلف للروايات التاريخية المكذوبة التي توردها بعض الكتب، ولم يدع مؤلفوها تحقيقها. ومثال ذلك الرواية التي توجه تهمة شنيعة للصحابة، رضوان الله عليهم جميعا، حيث تقول الرواية "الصحابة أهملوا دفن الرسول ثلاثة أيام حتى انتفخ بطنه" وذلك لأنهم «كانوا مشغولين بشيء أهم وهو الحرص على كرسي الحكم».(ص ٦٩)

مصطلح العدالة :

عندما نقول أن الصحابة والرواة عدول، هذا يعنى في هذا السياق أنهم حريصون على أداء ما فرضه الله، واجتناب ما حرمه رب العالمين، ومنها الكذب على نبيه الأمين. وذلك لقوله، عليه الصلاة والسلام، في حديث متواتر لفظا ومعنى "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ". ولهذا لم يثبت على أحدهم الكذب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وإذا قلنا أنهم ثقات وتقاة .. فإنما نبني هذا التقويم

على سلوكهم الظاهر، ولا يدَّع علماء الحديث أنهم شقوا قلوبهم فعلموا ما فيها. ومن بدهيات الفحص في الروايات التاريخية التي تصلنا أو نتوارثها عبر الأجيال السابقة هو أن نجمع الروايات الإيجابية عن الشخصية المحددة والسلبية ونرجح أكثرها عددا، وأكثرها اتساقا مع السمة العامة للشخصية ,، والحرص على عدم إثبات الصفات السلبية دون أدلة قوية.(انظر مثلا مهج أبحاث المؤرخين في خطوات)

لماذا تأخر تدوين السنة النبوية:

يتساءل المؤلف: لماذا تأخر تدوين الحديث لمائة سنة بعد وفاة النبي وهي بهاته القيمة في التشريع، ليس **باعتبارها مبينة ومفصلة لما في القرآن**، بل باعتبارها قاضية وناسخة لما في كتاب الله؟ (ص ٢١) وهل يصح أن يدع النبي نصف ما أوحاه الله إليه يغدو بين الأذهان بغير قيد، يمسكه هذا وينساه ذاك، ويتزيد فيه ذلك! مما يصيب غير المدوّن في كتاب محفوظ؟ (ص٣١)

ويضيف المؤلف: يصيبني العجب الممزوج بالحيرة من العقلية التي يتمتع بها رواة الحديث ومدونوه ومحققوه والذين يطلق عليهم "محدثون." كيف أنهم يجيزون لأنفسهم تدوين هاته الأحاديث، وينبرون للدفاع عنها، ويمحصون رجالها، ويدرسون أسانيده، ويقعدون القواعد لمصطلح الحديث، ويكفرون من ينكرها، أو يفسقونه ويزندقونه في أفضل الظروف، وبعدها يطلعون بوجوههم الوقحة على الناس ليسردوا عليهم أحاديث وآثار في منع كتابة وتدوين الأحاديث، غريبة جدا ،تحط من قدر هؤلاء عند ذوي العقل الراجح، والفكر المستنير. لكن الأمر ليس بهاته البساطة، فالمحدث مع الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية من هاته الأحاديث، يحاول أن يبرر موقفه بعلل واهية. (ص١٩- ٢١)

ومؤيدا السبب الصحيح يقول: إن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وغيرهم من الصحابة قد بينوا العلل الواضحات التي كانت وراء منع كتابة الحديث، **وهي أن لا يكون كتاب أخر مع كتاب الله**، أو حتى لا ينشغل الناس عنه.

ومن الغريب أن المؤلف ينكر هذا المعنى الذي يؤيده إذا جاء بصيغة مختلفة، حيث يقول: ومن الأعذار الغريبة جدا، والخطيرة جدا، والتي يستدل بها هؤلاء لتفسير منع الرسول الكتابة لكلامه هي قولهم: "**إن منع الحديث جاء في صدر نزول الوحي حتى لا يختلط على الناس كلام الرسول بكلام الله فلا يميزون هذا عن ذاك**". (ص ٢٥-٢٦)

من ألف صحيح البخاري؟

تحت عنوان من ألف صحيح البخاري؟ يقول المؤلف: وخضنا جولات لإسقاطها، بعد عرضنا لخطوطها العريضة، وسبرنا غور مضامينها، ورأينا كيف أن هاته الأسطورة لا تستطيع أن تصمد أمام كم الحقائق المفندة والناسفة لها، فهي أوهن من بيت العنكبوت، وأضعف من أن تصمد مع أول دليل مناوئ لها. وأول حجة في مواجهتها بعد هذا كله أن نتساءل ونسائل الشيوخ حول النسخة الأصلية لصحيح

البخاري... وهو كما أثبتنا – **مليء بالطوام الكبرى والخرافات الجسيمة والإساءات البالغة للدين وللرسول ولرب العزة وللإنسان وللحيوان**.(ص ١٦٣)

ونحن نسائلهم أن يدلونا على هاته المخطوطة، أين هي الآن؟ أين توجد؟ في أية مكتبة أو متحف، هي راقدة، أو محنطة، أو مخزنة؟ لكن صدقوني...لا أحد من هؤلاء الشيوخ يعرف، لكن الحقيقة التي يريدون إخفاءها، ونحن نعمل عبر هذا الكتاب اليوم على إظهارها، **وهي أنها لا توجد في العالم أجمع** مخطوطة واحدة، بخط محمد بن إسماعيل البخاري لصحيح البخاري. (ص ١٦٤)

وحتى نوفر العناء على هؤلاء الشيوخ، لأننا نعرف مسبقا عجزهم عن الإجابة، فقد حاولنا البحث نيابة عنهم، عن المخطوطة الأصلية لصحيح البخاري، فوجدنا عرضا مفصلا لإبراهيم اليحيى مفهرس مخطوطات في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، يقدم لنا من خلاله النسخ التي يسميها "أصلية " لكتاب الجامع الصحيح، حيث قام بنشر هذا العرض على موقع أهل الحديث، وهو موقع سلفي مدافع عن الحديث و"علومه" ويستميت هذا الموقع في الدفاع عن كتاب الجامع الصحيح للبخاري. (ص ١٦٤)

والسؤال: لو تم توجيه سؤاله إليه فقيل: أين المخطوطة (الشهادة المكتوبة) التي تثبت انتساب المؤلف لآدم عليه السلام؟ فماذا سيكون جوابه، وخاصة أنه يرفض السند وضوابط نقده (علم الرجال والجرح والتعديل)، الذي وضعه علماء الحديث للتحقق من الأخبار الماضية التي نقلتها إلينا الأجيال المتعاقبة من المتخصصين شفويا عبر القرون؟

وإذا لم تحضر ذلك هل نشك في صفاء نسبك إلى آدم، عليه السلام؟

وهل المخطوطات والوثائق الرسمية الورقية التي قد يحررها واحد فقط، أكثر وثوقا من سلسلة من الشهود التي تنقل الأخبار أو المعلومة شفويا، مع احتمال تعدد الشهود في كل الطبقات أو بعضها؟

وأيهما أكثر احتمالا للخطأ الشهود أم الورقة التي تسجل اسم الأب أو الجد بخطأ غير مقصود أو مقصود، لوجود خطة لسرقة الطفل أو...؟

وهل تعلم أن الأصل هو النقل الشفوي بين الأحياء، حتى بالنسبة لشهادة ميلادك وأن التوثيق بالكتابة أو بالتسجيل الصوتي ليس إلا وسيلة مساندة، وليست الأصل؟

أما إذا استعرضنا "رأس كليب" الذي جاء به ووفر على الشيوخ جهدهم، سنجد ٦٧ مخطوطة، ثلاث نسخ منها كاملات. أما البقية فتتراوح بين بعض الأبواب إلى"قطعة" حسب وصف المؤلف، وهي الأكثر. (ص ١٦٩-٢٣٩)

الخلاصة:

يعتمد المؤلف على منهجين رئيسين: الحكم على مصداقية النصوص المقدسة بالعقل فقط، ويرفض الشهادات الشفوية بين متخصص وآخر عبر القرون تعميم النذر اليسير على الكثير الغزير. وبعبارة أخرى، يتجاهل ويرفض الرواية الشفوية من مختص إلى مختص لنقل النصوص المقدسة عبر الأجيال المتعاقبة، ولحفظ أصالتها،

وإثبات مصداقيتها، في ضوء ضوابط مقننة حسب ما تسمح به طبيعة الدراسات المنهجية.

ويسئ المؤلف إلى نبي رب العالمين وأصحابه البررة بطريقة غير مباشرة، ويشتم بصراحة السنة النبوية أو الأحاديث النبوية (المصدر الثاني للإسلام)، وأصول الحديث، وعلماء الأمة الإسلامية الذين خدموا السنة النبوية ولا يزالون.

ويحشو كتابه بالشتائم والسخرية، ليس لإبليس والشياطين ، ولكن للسنة النبوية وللعلماء الذي يخدمونها ولا يزالون. فشتائمه وسخرياته تقارب المائة في الكتاب، أي بمعدل شتيمة لكل صفحتين كما أشرت.

ويحشو المؤلف كتابه بالأكاذيب والمبالغات، وبالمعلومات المغلوطة المتناقضة. ويكذِّب الأخبار الموثقة، ويصدِّق الأخبار غير الموثقة، ويرجحها على الأولى، ويفهم النصوص بطريقة معوجة، جهلا أو عن قصد، ليتخذها مبررات لصب سيل شتائمه على السنة النبوية وعلومها وعلى علمائها.

وهنا يحق لأي عاقل أن يطرح الأسئلة التالية:

أولا – هل الكتاب يندرج في فن صناعة الشتائم والسخريات، ولاسيما الموجهة إلى السنة النبوية والعلوم التي تخدمها وعلماء المسلمين، ويندرج في فن تأليف الأكاذيب والتناقضات، ليحارب الإسلام، دين رب العالمين؟

ثانيا ـ هل المؤلف كان في حالة وعي وهو يقرأ ويكتب، عند تأليفه كتابه؟

ثالثا ـ لو كان المؤلف في حاجة إلى قاض أو شاهد ثقة في قضية له هو المظلوم فيها، هل يعتمد على قاض أو شاهد طبيعته وفكره وأسلوبه يشبه أو يطابق محتويات كتابه؟

د سعيد إسماعيل صيني

يوم الاثنين الموافق ٤ صفر ١٤٤٢هـ

المراجع والهوامش:

١ - أصول التفسير في خطوات، موجودة في الإتترنت.

٢ - أصول الحديث في خطوات، موجودة في الإتترنت.

٣ - أصول الفقه في خطوات، موجودة في الإتترنت.

٤ - منهج لأبحاث التاريخية في خطوات، موجودة في الإتترنت.

موقع الشيخ بن باز Binbaz.org.sa

٥- موقع الموسوعة الذهبية – الدرر السنية. Dorar.net/hadith/sharh

موقع Khalid.alsabti.com

٦- وردت تهمته لعلماء المسلمين بأنهم يحاولون التقليل من قيمة كتاب الله لصالح السنة النبوية. ١٢ مرة في الصفحات التالية: ١٧، ٢١-٢٤، ٢٧، ٤٥، ٥٥-٥٦.

٧ - صفحات الشتائم الصريحة. وشتائمه وسخرياته تنتشر عبر صفحات كتابه كما وردت الإشارة عن الاستشهاد من كتابه، وأما لم يتم الاستشهاد بها فهي كما في الجدول المرفق:

صفحات الشتائم والسخريات غير المستشهد بها

تسلسل	صفحة شتيمة	تسلسل	صفحة شتيمة	تسلسل	صفحة شتيمة	تسلسل	صفحة شتيمة	تسلسل	صفحة شتيمة
١.	٢٤	١١.	٤٥	٢١.	٦١	٣١.	٦١٨٠	٤١.	٦١ ١٠٨
٢.	٢٩	١٢.	٤٦	٢٢.	٦٥	٣٢.	٦٥٨١	٤٢.	٦٥ ١٢٨
٣.	٣٤	١٣.	٤٦	٢٣.	٦٧	٣٣.	٦٧٨١	٤٣.	٦٧ ١٣٠
٤.	٣٤	١٤.	٤٧	٢٤.	٦٨	٣٤.	٦٨٨٢	٤٤.	٦٨ ١٣٠
٥.	٣٩	١٥.	٤٨	٢٥.	٧٣	٣٥.	٧٣٨٥	٤٥.	٧٣ ١٤٠
٦.	٤١	١٦.	٥٢	٢٦.	٧٥	٣٦.	٧٥٩٩	٤٦.	٧٥ ١٤٤
٧.	٤٥	١٧.	٥٢	٢٧.	٧٧	٣٧.	٧٧٠٠	٤٧.	٧٧ ١٤٥
٨.	٤١	١٨.	٥٤	٢٨.	٧٧	٣٨.	٧٧٠١	٤٨.	٧٧ ١٤٨
٩.	٤١	١٩.	٦١	٢٩.	٧٨	٣٩.	٧٨٠٢		٧٨
١٠.	٤١	٢٠.	٦١	٣٠.	٨٠	٤٠.	٨٥٠٦		٨٠